دراسة حول ابن تيمية
وأهم موضوعات الكتاب موضوع التحقيق

أولا: حياة ابن تيمية وأخلاقه

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس شهاب الدين عبد الحليم بن شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني الحنبلي، وكان مولده في يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة من الهجرة النبوية الشريفة، وتيمية لقب لجده الأعلى: محمد بن الخضر، قيل: (إن جده محمد بن الخضر حج وله امرأة حامل، ومر على درب تيماء فرأى هناك جارية طفلة، قد خرجت من خباء فلما رجع إلى حران وجد امرأته قد ولد [illegible] فلما رآها قال: يا تيمية فلقب بذلك). وقال ابن النجار: ذكر لنا أن محمدا هذا كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها[1].

وقد هاجر مع والده وأمه وإخوته إلى الشام وهو في حوالي السادسة من عمره وذلك هربا من ظلم التتر وقسوتهم وفسادهم.

وحفظ القرآن صغيرا، واهتم بالفقه وأصوله والحديث النبوي الشريف، وأجاد النحو واستوعب الكتاب لسيبويه استيعابا كاملا، وكذا نبغ في التفسير وقد هضم هذه العلوم جميعا وهو في ريعان صباه، وأفتى يوم أن كان عنده تسع عشرة سنة.

قال الشيخ العلامة كمال الدين بن الزملكاني الشافعي كان (ابن تيمية) إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم بأنه لا يعرفه أحد مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذهبهم

---

(١) الكتبي، ابن شاكر، فوات الوفيات ١، ص ٦٣.

منه أشياء، قال: ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه، ولا تكلم في عمل من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها، إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها[١].

والده

يتحدث ابن كثير في البداية والنهاية عن حوادث سنة ٦٨٢هـ فيقول: وفيها توفي والد الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العالم مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي المقام بن تيمية الحراني، والد شيخنا العلامة العلم تقي الدين بن تيمية (مفتي الفرق) الفارق بين الفرق، كان له فضيلة حسنة، ولديه فضائل كثيرة، وكان له كرسي بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظاهر قلبه، وولي مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين (بدمشق)، وبها سكنه. ودفن بمقابر الصوفية -رحمه الله-[٢].

وحين توفي والده، جلس ابن تيمية مكانه في التدريس، يقول ابن كثير، في البداية والنهاية: في يوم الإثنين، ثاني المحرم منها، درس الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، بدار الحديث السكرية التي بالقصاعين (بدمشق) وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي الشافعي، والشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية، والشيخ ين الدين بن المرحل، وزين الدين بن المنجا الحنبلي، وكان درسا، هائلا، وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري لكثرة فوائده، وكثرة ما استحسنه الحاضرون، وقد أطنب الحاضرون في شكره على حداثة سنه وصغره، فإنه كان عمره إذ ذاك عشرين سنة وسنتين، ثم جلس الشيخ تقي الدين المذكور أيضا يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة على منبر قد هيئ له لتفسير القرآن العزيز. فابتدأ من أوله في تفسيره

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، جـ١، المطبعة الحيدرية بالنجف، ١٩٦٩، ص ٤٠٩.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، حـ ١٣، ص ٣٠٣.

وكان يجتمع عنده الخلق الكثير... واستمر على ذلك مدة سنين متطاولة[١].

وكذلك قام ابن تيمية بالتدريس بالمدرسة الحنبلية بدمشق بعد وفاة الشيخ زين الدين بن المنجا عام ٦٩٥هـ يقول ابن كثير: وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان عام ٦٩٥هـ درس الشيخ الإمام العلامة -ابن تيمية- بالمدرسة الحنبلية عوضا عن الشيخ زين الدين ابن المنجا -رحمه الله-[٢].

والدته

كانت تقية ورعة يشهد بصلاحها العلامة ابن كثير فيقول في سنة ٧١٦هـ: توفيت الشيخة الصالحة ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية والدة الشيخ تقي الدين ابن تيمية عمرت فوق السبعين سنة. توفيت يوم الأربعاء العشرين من شوال سنة ٧١٦هـ ودفنت بمقابر الصوفية بدمشق، وحضر جنازتها خلق كثير وجم غفير[٣].

أخواه

أخواه هما: زين الدين عبد الرحمن، وشرف الدين عبد الله. وكنا أصغر منه سنا وكانا محبين له حبا شديدا، وأخوه الشيخ شرف الدين عبد الله، مات قبل شيخ الإسلام، ولما مات ابن تيمية دفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية بدمشق.

أما أخوه زين الدين عبد الرحمن فكان يعمل بالتجارة وكان محبا لشيخ الإسلام حبا شديدا لدرجة أنه حبس مع الشيخ بالإسكندرية ودمشق ليخدمه في سجنه، وقد توفي سنة ٧٤٧هـ.

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٣٤٤.
(٢) ابن كثير البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٣٤٤.
(٣) ابن كثير البداية والنهاية، جـ١٤، ص٧٩.

قال البزار: (مات رأيت أحدا كان أشد تعظيما للشيخ من أخيه هذا، أعني القائم بأوده. وكان يجلس بحضرته كأن على رأسه الطير، وكان يهابه كما يهاب سلطانا).

شيوخه

قال الصفدي في الوافي بالوفيات: (مسع من ابن عبد الدايم، وابن اليسر، والكمال ابن عيد، واحمد بن أبي الخير الحداد، وابن الصيرفي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمرو، والقاسم الأربلي، وابن علان، وخلق كثير).

وقد قرأ في العربية أياما على سليمان بن عبد القوي، وقرأ الكتاب لسيبويه وفهمه فهما جيدا.

قال ابن شاكر الكتبي: (سمع من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي جزء ابن عوف، وغير ذلك، وسمع الكثير من ابن أبي اليسر، والكمال بن عيد، الشيخ شمس الدين الحنبلي، والقاضي شمس الدين بن عطا الحنفي، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، ومجد الدين بن عساكر، والنجيب بن المقداد، وابن أبي الخير، وابن علان، وأبي بكر الهروي، والكمال عبد الرحيم، وفخر الدين بن البخاري، وابن شيبان، والشرف بن القواس، وزينب بنت مكي، وخلق كثير.

وشيوخه الذين سمع منهم أزيد من مائتي شيخ. وسمع مسند الإمام أحمد مرات. ومعجم الطبراني الكبير، والكتب الكبار والأجزاء، وعني بالحديث، وقرأ بنفسه الكثير، ولازم السماع مدة سنين، ونسخ وانتقى، وتعلم الخط والحساب في المكتب، واشتغل بالعلوم، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وبرع في النحو، وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه، وغير ذلك، هذا كله وهو ابن بضع عشرة سنة، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه، وسيلان

ذهنه، وقوة حافظته وسرعة إدراكه[١].

يقول ابن الوردي في تاريخه: (كان لابن تيمية خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه، وله لمنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث كان يعرفه ابن تيمية فليس بحديث. ولكن الإحاطة لله، غير أنه لا يغترف فيه بمن بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي)[٢].

ومعروف أن شيخ الإسلام سمع كتب الحديث الكبرى عدة مرات كصحيح البخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، وجامع الترمذي، والدار قطني.

وقد تمذهب بمذهب الإمام أحمد، فكان حنبليا فقيها لا يبارى، ثم اجتهد وارتقى إلى رتبة الاجتهاد.

ولعله كان حنبليا لأن والده كان حنبليا فأخذ عنه المذهب، وخصوصا أن والده كان من أئمة الحنابلة الكبار، وقد كان له بعض اختياراته الفقيهة الخاصة التي خالف فيها المذاهب الأربعة أو بعضها.

ومن اختيارات شيخ الإسلام التي خالف فيها الفقهاء الأربعة

القول بقصره الصلاة في كل ما يسمى سفرا، كما هو قول ابن عمر، واختاره البخاري صاحب الصحيح. والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له الوضوء، كما يشترط للصلاة، كما هو مذهب ابن عمر. واختيار البخاري أيضا.

---

(١) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ١/ ٦٣- ٦٤.

(٢) ابن الوردي: مرجع سابق، ص ٤٠٩.

والقول بأن من أكل في شهر رمضان معتقدا أنه ليل، فينام نهارا لا قضاء عليه كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وإليه ذهب بعض التابعين وبعض الفقهاء من بعدهم. والقول بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة، كما هو في حق القارن والمفرد، وكما هو قول ابن عباس -رضي الله عنهم-. ورواية عن أحمد بن حنبل رواها عنه ابنه عبد الله.

وكثير من أصحاب الإمام أحمد لا يعرفونها، والقول باستبراء المختلعة[1].

والقول باستبراء المختلعة بحيضة، وكذلك الموطوءة بشبهة، والمطلقة آخر ثلاث تطليقات. والقول بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين. والقول بجواز عقد الرداء في الإحرام، ولا فدية في ذلك، وجواز طواف الحائض ولا شيء عليها، إذا لم يمكنها أن تطوف ظاهرا، والقول بجواز بيع الأصل بالعصير. كالزيت بالزيت، والسمسم بالسيرج.

والقول بجواز الوضوء بكل ما يسمى ماء مطلقا كان أو مقيدا.

والقول بجواز التيمم لمن خاف فوات العيد والجمعة باستعمال الماء.

القول بجواز التيمم في مواضع معروفة.

والجمع بين الصلاتين في أماكن مشهورة.

وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله، وكان يميل أخيرا لتوريث المسلم من الكافر الذمي.

---

(١) ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص ٣٢٣، ٣٢٢، نقلها ابن عبد الهادي عن رسالة للشيخ عماد الدين ابن شيخ الحزاميين في الثناء على الشيخ ابن تيمية والوصاية به.

فتوى الشيخ بان الطلاق الثلاث يقع طلقة واحدة.

وفي سنة ثمان وستة عشرة وسبعمائة أفتى الشيخ ابن تيمية بأن الحلف بالطلاق ثلاث في جلسة واحدة يقع طلقة واحدة.

وفي هلال جمادى الأولى من نفس العام، ورد البريد إلى دمشق ومعه كتاب السلطان بالمنع من هذه الفتوى، ونودي في البلد بمنع هذه الفتوى، وفي التاسع والعشرين من رمضان عام تسعة عشرة -خوطب- بسبب هذه الفتوى من القضاة والعلماء حيث اجتمعوا به عند نائب السلطنة بدار السعادة وأكدوا عليه على ضرورة رجوعه عن هذه الفتوى ومنعه من الإفتاء بها. لكن الشيخ رأى أنه على حق في فتواه، وظل يفتي بها، حتى عقد له مجلس ثان بدار السعادة، وكان ذلك في الثاني والعشرين من رجب سنة عشرين وسبعمائة، وقد حضر المجلس النائب والقضاة وبعض الفقهاء وعاتبوه على عودته في الإفتاء بهذه المسألة وقرروا حبسه، وفعلا حبسوه بالقلعة فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوما. ثم أصدر السلطان مرسوما بإخراجه من الحبس فأخرج من سجنه في ويوم عاشوراء إحدى وعشرين وسبعمائة، وتوجه من السجن إلى داره.

ويرى ابن تيمية أن الطلقات الثلاث في مجلس واحد سواء بلفظ واحد أو بألفاظ متعددة إنما تعتبر طلقة واحدة، وهذا الرأي جاء مخالفا للأئمة الأربعة، لكنه كان مجتهدا في بحثه متبعا منهجه القائم على نصوص الكتاب والسنة ودلائلها.

ويقول: (وهذا القول منقول عن طائفة من السلف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ، مثل: الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، ويروي عن علي، وعبد الله ابن مسعود، وعبد الله بن عباس، وهو قول داود وأكثر أصحابه، ويروي عن أبي جعفر محمد الباقر بن علي بن حسين، وابنه جعفر الصادق، لهذا ذهب إلى

ذلك من ذهب من الشيعة)[١].

ويقول ابن تيمية: (إن طلقها ثلاث في طهر واحد بكلمة واحدة أو كلمات. مثل أن يقول أنت طالق ثلاث. أو أنت طالق وطالق وطالق. أو أنت طالق، ثم طالق، ثم طالق، أو يقول: أنت طالق، ثم يقوله: أنت طالق ثم يقول: أنت طالق، أو يقول : أنت طالق ثلاثا، أو عشر طلقات، أو مائة طلقة، أو أنت طلقة ونحو ذلك من العبارات، فهذا للعلماء من السلف والخلف فيه ثلاثة أقوال، سواء كانت مدخولا بها أو غير مدخول بها. ومن السلف من فرق بين المدخول بها وغير المدخول بها.

وفيه قول رابع محدث مبتدع: أحدها: أنه طلاق مباح لازم، وهو قول الشافعي وأحمد في الرواية القديمة، اختارها الخرقي، والثاني: أنه طلاق محرم لازم وهو قول مالك وأبي حنيفة، وأحمد في الرواية المتأخرة عنه، اختارها أكثر الصحابة وهذا القول منقول عن كثير من السلف، من الصحابة والتابعين، والذي قبله منقول عن بعضهم، والثالث: أنه محرم، ولا يلزم منه إلا طلقة واحدة وهذا القول منقول عن طائفة من السلف والخلف من أصحاب رسول الله ﷺ.

وأما القول الرابع الذي قاله بعض المعتزلة والشيعة: فلا يعرف عن أحد من السلف وهو أنه لا يلزمه شيء.

والطلاق الثالث هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة،، فإن كل طلاق شرعه الله في القرآن في المدخول بها إنما هو الطلاق الرجعي، لم يشرع الله لأحد أن يطلق الثلاث جميعا، ولم يشرع له أن يطلق المدخول بها طلاقا بائنا، ولكن إذا طلقها قبل الدخول بها بانت منه، فإذا انقضت عدتها بانت منه[٢].

---

(١) ابن تيمية، فتاوى جـ ٣٣،ص٨.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: جـ ٣٣، ص ٨، ٩.

ويشرح ابن تيمية رأيه الذي ارتآه وقال به، وهو أن الطلقات الثلاث في مجلس واحد سواء بلفظ واحد أو بألفاظ متعددة إنما تعتبر طلقة واحدة: فيقول: (لا نعرف أن أحدا طلق على عهد النبي ﷺ، امرأته ثلاثا بكلمة واحدة فألزمه النبي ﷺ بالثلاث، ولا روي في ذلك حديث صحيح ولا حسن، ولا نقل أهل الكتب المعتد عليها في ذلك شيئا، بل وريت في ذلك أحاديث ضعيفة باتفاق علماء الحديث، بل موضوعة، بل الذي في صحيح مسلم وغيره من السنن، والمسانيد عن طاووس عن ابن عباس أنه قال: (كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة).

فقال عمر: إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم.

وفي رواية لمسلم وغيره عن طاووس أن أبا الصهباء قال لابن عباس: أتعلم إنما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، وثلاثا من إمارة عمر، فقال ابن عباس: نعم.

وفي رواية: أن أبا الصهباء قال لابن عباس: هات من هنا تك، ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر واحدة؟ قال: قد كان ذلك، فلما كان في زمن عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم.

وروي الإمام أحمد في مسنده، عن ابن عباس أنه قال: طلق ركانة بن عبد يزيد أخو بني المطلب امرأته ثلاثا في مجلس واحد، فحزن عليها حزنا شديدا، قال: فسأله رسول الله ﷺ «**كيف طلقها؟**» قال: طلقتها ثلاثا. قال: فقال: «**في مجلس واحد؟**» قال نعم: قال: «**فإنما تلك واحدة فأرجعها إن شئت**» قال: فرجعها.

وقول النبي ﷺ : «**في مجلس واحد**» مفهومه أنه لو لم يكن في مجلس واحد لم يكن

الأمر كذلك[١].

ولعل انشغال شيخ الإسلام بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله -تعالى- ومحاربة أهل البدع الأهواء، وانشغاله بالكتابة التأليف، وجهاده ضد الفرق الباطنية وغلاة الصوفية والشيعة، كل هذا جعله ينصرف تماما عن الزواج.

أسماء أصحاب الشيخ وأعوانه ومحبيه

إن من أصحاب الشيخ وأعوانه ومحبيه شيخ المحدثين ومؤرخ الإسلام: الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) والحفاظ المزي (ت: ٧٤٢هـ)، والشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية)(ت: ٧٥١هـ) والشيخة الصالحة أم زينب فاطمة البغدادية (ت: ٧١٤هـ) والشيخ الشرف الجعبري التاجر (ت: ٧٢٦هـ)، وكاتب مصنفات الإمام عبد الله بن رشيق المغربي (ت: ٧٤٩هـ)، والشيخ خالد الزاهد (ت: ٧٤١هـ)، والشيخ عبد الله الجزري (ت: ٧٢٥هـ)، والشيخ علي المحارفي (ت: ٧٢٧هـ)، والأمير سيف الدولة براق (٧٥٧هـ)، والأمير زين الدين كتبغا حاجب دمشق (ت: ٧١٢هـ)، والبدر العوام (ت: ٧٢٥هـ)، والشيخ شمس الدين الأصبهاني (شارح مختصر ابن الحاجب، وشرح الحاجبية)، والشيخ شمس الدين السلامي (التاجر) (ت: ٧٢٨هـ)، والأمير سيف الدين أرغون (نائب مصر ثم نائب حلب ت: سنة ٧٣١هـ)، وشمس الدين التدمري (المعروف بالنيرباني) ، محب الدين بن المحب (ت: ٧٣٧هـ) وبهاء الدين الكحال اليهودي الذي أسلم (ت: ٧١٥هـ)، وعلاء الدين بن عرفة (المعروف بابن عرفة) (ت: ٧١٦هـ)، والحافظ شمس الدين بن عبد الهادي (ت: ٧٤٤هـ)، والقاضي بن النجيح (ت: ٧٤٩هـ)، والشيخ زين الدين بن تيمية (ت: ٧٤٧هـ)، والشيخ شهاب الدين بن مري (الحنبلي) البعلبكي، والشيخ أبو بكر ابن شرف الصالحي (ت: ٧٢٨هـ)، والأمير صلاح الدين يوسف

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٣، ص ١٣-١٤.

التكريتي (ت: ٧٤٤هـ)، وشرف الدين محمد المعروف بأبي نجيح (ت: ٧٢٣هـ)، وتقي الدين محمود الدقوقي (ت: ٧٣٣هـ)[١].

وفاته

في ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة توفي شيخ الإسلام ابن تيمية في سجنه بقلعة دمشق، وصلى عليه بعد غسله وتكفينه أولا بالقلعة الشيخ محمد تمام، ثم بجامع دمشق بعد الظهر تقدم عليه في الصلاة أخوه وخرج وراءه عشرات الألوف من الرجال والنساء حزروا على أقل تقدير بستين ألفا.

وقال عنه ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات: (شيخنا الإمام الرباني، إمام الأئمة مفتي الأمة، وبحر العلوم، سيد الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، قريع الدهر، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، علامة الزمان وترجمان القرآن، علم الزهاد، وأوحد العباد، قامع المبتدعين وآخر المجتهدين، نزيل دمشق وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها)[٢].

وقال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ: كان (ابن تيمية) من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه، الموافق و لمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاث مائة مجلد، حدث بدمشق ومصر، والثغر، وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس بقلعة القاهرة والإسكندرية، وبقلعة دمشق مرتين)[٣].

---

(١) البزار، الأعلام العلية، ذيل في أصحاب الشيخ وأعوانه ومحبيه والمعترضين عليه، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٣٩٦هـ، ص٧٩، ٨٤.

(٢) الكتبي ابن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق: محي الدين عبد المجيد، ١/ ٦٢.

(٣) الحافظ الذهبي، تذكرة الحفاظ، تحقيق: المعلمي، جـ١، حيدر أباد الدكن، ص ١٤٩٦.

فطنته وذكاؤه

كان الشيخ منذ صغره تبدو عليه ملامح الفطنة والذكاء، ويذكر البزار مؤقفا يؤكد عبقرية وذكاء شيخ الإسلام منذ صغره فيقول: (أخبرني من أثق به عن جديه أن الشيخ -رضي الله عنه-، في حال صغره، كان إذا أراد المضي إلى المكتب يعترضه يهودي كان منزله بطريقه، بمسائل يسأل عنها لما يلوح عليه من الذكاء والفطنة، وكان يجيبه عنها سريعا حتى تعجب منه، ثم إنه صار كلما اجتاز يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه، فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه، وكان ببركة الشيخ على صغر سنه)[١].

يقول الصفدي في أعيان العصر: (كان من صغره حريصا على الطلب، مجدا على التحصيل والدأب. قيل: إن أباه وأخاه وجماعة من أهله، وآخرين ممن يلوذون بظله، سألوه أن يروح معهم يوم سبت ليتفرج، فهرب منه ولا تفرج. فلما عادوا آخر النهار ولاموه على تخلفه وتركه لاتباعهم، فقال: أنتم ما تزيد لكم شيء ولا تجدد، وأنا حفظت في غيبتكم هذا المجلد، وكان ذلك الكتاب (جنة المناظر وجنة المناظر) وهو مجلد صغير وأمره شهير[٢].

والحقيقة إنه كان صاحب عقلية سريعة الفهم والحفظ، ولهذا لا نعجب إذا علمنا سرعة حفظ أحاديث رسول الله ﷺ منذ كان صغيرا، فقد اتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق، وقال سمعت في البلاد بصبي يقال له أحمد بن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدا لعلي أراه، فقال له خياط: هذا طريق كتابه وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا، الساعة يجيء يعبر علينا ذاهبا إلى الكتاب. فجلس الشيخ الحلبي قليلا، فمر صبيان، فقال الخياط للحلبي: هذا الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح،

(١) البزرا، الأعلام العلية، ص ٢١.

(٢) الصفدي، أعيان العصر، مخطوطة، أمانة خزينة ١٢١٤.

فنظر فيه ثم قال: يا ولدي امح هذا حتى أملي عليك شيئا تكتبه ففعل فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاث عشر حديثا وقال له: اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه، وقال: اسمعه علي، فقرأه عليه عرضا كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي امح هذا، ففعل فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: أقرأ هذا، فنظر فيه، كما فعل أول مرة، فقام الشيخ، وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم فإن هذا لم ير مثله[١].

الحقيقة إنه كان عجيبة من العجائب في سرعة الحفظ، ومن أعجب الأشياء أنه لما سجن صنف كتبا كثيرة، وذكر فيها الأحاديث والآثار، وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم، وعزا كل شيء من ذلك إلى ناقليه وقائليه، وذكر أسماء الكتب التي ذكر ذلك فيها، وفي أي موضع هو منها، كل ذلك بديهة من حفظه، لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه، ونقبت واختبرت فلم يوجد بحمد الله فيها خلل ولا تغير[٢].

إيثاره

كان شيخ الإسلام -رحمه الله- مع فقره الشديد كثير الإيثار (فقد كان يتصدق حتى إذ لم يجد شيئا نزع بعض ثيابه مما يحتاج إليه، فيصل به الفقير وكان يستفضل من قوته القليل الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه، وربما خبأهما في كمه، ويمضي ونحن معه لسماع الحديث، فيراه بعضنا وقد دفعه إلى الفقير مستخفيا، يحرص أن لا يراه أحد. وكان إذا تردد عليه فقير وآثر المقام عنده يؤثره عند الأكل بالأكثر من قوته[٣].

---

(١) ابن عبد الهادي، الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد، العقود الدرية، تحقيق: محمد حامد الفقي، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٤.

(٢) الكواكب الدرية، ص ١٥٨.

(٣) إشارات لطيفة لابن تيمية، جمعها محمد العبدة، طبعة دار الثقافة للجميع، دمشق =

يقول ابن فضل الله العمري مبينا أنه كان بحرا في الجود والسخاء: (كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيهب ذلك بأجمعه، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه، لا يأخذ منه شيئا إلا ليهبه، ولا يحفظه إلا ليذهبه)[١].

حلمه وتسامحه

لعل أبرز المواقف النبيلة التي تلقي ضوء على مدت الحلم الذي كان يتمتع به شيخ الإسلام ابن تيمية صفحه وتسامحه مع كل من آذوه، وقد دون هذا التسامح العظيم في رسالة أرسلها إلى إخوانه في دمشق عند خروجه الأول من السجن (وقد أخرجه الأمير عيسى بن مهنا. ولكن نائب السلطنة في القاهرة طلب منه البقاء معه فاستجاب الشيخ حيث صادف ذلك رغبة عنده لأنه يريد أن يتصل بالناس ويعلمهم)[٢].

وهذه الرسالة تكشف عن قلب رحيم، وإنسانية عظيمة للإمام ابن تيمية، فمنها يقول لإخوانه في دمشق: (تعلمون -رضي الله عنكم- أني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين- فضلا عن أصحابنا- بشيء أصلا لا باطنا ولا ظاهرا، ولا عندي عتب على أحد منه ولا لوم أصلا؛ بل هي عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف ما كان، كل بحسبه، ولا يخلو الرجل إما أن يكون مجتهدا مصيبا أو مخطئا أو مذنبا، فالأول مأجور مشكور، والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه مغفور له، والثالث: وله يغفر لنا ولله ولسائر المؤمنين)[٣].

=

١٤٠٠هـ ١٩٩٨م، ص ٢٠.

(١) ابن تيمية، الرسالة القبرصية، جـ١، مطبعة المؤيد بمصر ١٣١٩هـ ص١٢.

(٢) إشارات لطيفة لابن تيمية، جمعها محمد العبدة، طبعة دار الثقافة للجميع، دمشق ١٤٠٠هـ ١٩٨٠، ص ٢٠.

(٣) إشارات لطيفة، ص ٢٣.

ومن المواقف التي تدل على حلمه وتسامحه إطلاقه سراح النصارى والمسلمين. كتب ابن تيمية في الرسالة القبرصية خطابا لسرجوان ملك قبرص ومما جاء فيه: (وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاقه الأسرى، وأطلقهم غازان (السلطان غازان هو أول من أسلم من ملوك المغول) فسمح بإطلاق المسلمين، وقال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يطلقون، قلت له بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذي هم أهل ذمتنا فإنا نفتكهم، ولا ندع أسيرا لا من أهل الملة لا من أهل الذمة، وأطلقنا من النصارى ما شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله، وكذلك السبي الذي بين أيدينا من النصارى يعلم كل أحد إحساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم كما أوصانا خاتم النبيين)[1].

زهده وتعبده

كان مثالا للعابد المتبتل (كان في ليلة منفردا عن الناس كلهم، خاليا بربه -عز وجل- ضارعا إليه، مواظبا على تلاوة القرآن العظيم، مكررا لأنواع التعبدات الليلية، والنهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة)[2].

ويعد ابن تيمية -رضي الله عنه- رأسا من رؤوس الزهد في تاريخ الإسلام، فقد كان رافضا لفضول الدنيا، زاهدا في مناصبها، حريصا على طلب الدار الآخرة (فلم يسمع أنه رغب في زوجة حسناء، ولا سرية (الجمع سرراي) حوراء ولا دار قوارء وجوار، ولا بساتين عقار، ولا شد على دينار ولا درهم، ولا رغب في دواب ولا نعم، ولا ثياب ناعمة فاخرة، ولا حشم، ولا زاحم في طلب الرياسات، مع أن الملوك والأمراء والتجار، والكبار كانوا طوع أمره، خاضعين لقوله وفعله، وأدين

(١) ابن تيمية، الرسالة القبرصية، مطبعة المؤيد بمصر، ١٣١٩هـ، جـ١، ص١٢.
(٢) الكرمي، الكواكب الدرية، ص ١٥٦.

أن يتقربوا إلى قلبه مهما أمكنهم)[١].

وكان كثير القراءة للقرآن الكريم كثير التهجد، والقيام بالليل، يقضي جل وقته في ذكره الله -تعالى-، فلم يشغله عن ذكره زوج ولا ولد ولا مال، وكان ورعا أعظم ما يكون الورع؛ لأن الله -تعالى- أجراه مدة عمره كلها عليه، فإنه لما خالط الناس في بيع ولا شراء ولا معاملة ولا تجارة، ولا مشاركة، و لا زراعة، ولا عمارة، ولا كان ناظرا مباشرا لمال وقف، ولم يكن يقبل جراية ولا صلة لنفسه من سلطان ولا أمير ولا تاجرن ولا كان مدخرا دينارا ولا درهما ولا متاعا وطعاما، وإنما كان بضاعته مدة حياته، وميراثه بعد وفاته -رضي الله عنه- العلم اقتداء بسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ وعلى الله وصحبه أجمعين فإنه قال: إن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم أمته فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[٢] [البخاري].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وكان الشيخ ابن تيمية آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، لا يرى خطأ إلا حاول تصحيحه، ولا منكرا إلا نبه إليه، ففي حوادث سنة ٧٠٤ هـ يذكر العلامة ابن كثير أنه في رجب من هذا العام ٧٩٤هـ أحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية رجلا يلبس دلقا كبيرا (وكان الرجل من رؤوس فرقة الحشاشين) ويسمى المجاهد إبراهيم القطان، فأمر الشيخ بتقطع ذلك الدلق، فتناهبه الناس من كل جانب وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئا وأمر بحلق رأس الرجل، وكان ذا شعر، وقلم أظفاره وكانت طوالا جدا، وحف شاربه المسبل على فمه المخالف للسنة، واستتابه من كلام الفحش وأكل ما يغير العقل من الحشيشة، ولا يجوز من المحرمات وغيرها، وبعده استحضر الشيخ محمد الخباز البلاسي، فاستتابه أيضا عن أكل المحرمات، ومخالطة أهل الذمة، وكتب عليه مكتوبا أن لا يتكلم في تعبير المنامات

(١) البزار، الأعلام في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/ صلاح المنجد، ص ٤٥.
(٢) مرجع سابق، ص٤١.

ولا في غيرها بما لا علم له به.

وفي هذا الشهر بعينه راح الشيخ ابن تيمية إلى مسجد النارنج، وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك تزار وينذر لها. فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما[١].

كان الإمام جريئا في دين الله -تعالى-، لا يخشى في الحق لومة لائم، وله مواقف كثيرة تبين مدى إقدامه وشجاعته في محاربة الفساد والانحلال وكل صور الانحراف عن دين الله -تعالى- فيذكر الإمام ابن كثير في حوادث عام ٦٩٩هـ: (أنه في بكرة يوم الجمعة سابع عشر من رجب عام ٦٩٩هـ دار الشيخ ابن تيمية -رحمه الله-، وأصحابه على الخمارات والحانات، فكسروا آنية الخمور، وشقوا الظروف، وأراقوا الخمور، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش. ففرح الناس بذلك)[٢] في فترة حبسه بالجب بمصر قام بدور إصلاحي كبير داخل السجن، ذكر صاحب الكواكب الدرية أنه: (لما أدخل الحبس وجد المحابيس مشغولين بأنواع اللعب يتلهون بها عما هم فيه، كالشطرنج والنرد مع تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ ذلك عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتسبيح والاستغفار والدعاء، وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير وحضهم على ذلك)[٣].

شجاعته

كان نموذجا صادقا للشجاعة، ويذكر المؤرخون أنه: (كان إذا حضر في عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم، إن رأى من بعضهم هلعا أو جبنا شجعه وثبته

(١) ابن كثير البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص١١.
(٣) الكواكب الدرية، ص١٦٢.

وبشره ووعده بالنصر والظفر والغنيمة، وكان إذا ركب الخيل يجول في العدو كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، وينكي العدو من كثرة الفتك بهم، ويخوض بهم خوض رجل لا يخاف الموت، وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكا أمورا من الشجاعة الواصف عن وصفها، وقالوا: ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره)[1].

وقعة شقحب

كانت هذه الوقعة في أول رمضان من سنة اثنين وسبعمائة هجرية، وفيها انتصر المسلمون على التتار في (مرج صفر) وقد شارك في المعركة شيخ الإسلام ابن تيمية وأبلى بلاء حسنا ولقد نادى بضرورة إفطار الجند كي يقووا على مقاتلة الأعداء وجهادهم، وأفطر أمامهم ليقتدوا به، وظل ينفث في روع المقاتلين أهمية الجهاد، ويحدثهم عن الاستشهاد في سبيل الله وجزاء الشهداء العظيم.

رحيل قازان

يشبه شيخ الإسلام ابن تيمية انتصار المسلمين على المغول ورحيل زعيمهم قازان من أرض الشام وأراضي حلب بما وقع مع الأحزاب عام الخندق، فإن الله صرف الأحزاب عام الخندق بما أرسل عليهم من ريح الصبا -ريح شديدة البرودة- وبما فرق به بين قلوبهم، حتى شتت شملهم، ولم ينالوا خيرا، إذ كان همتهم فتح المدينة والاستيلاء على الرسول الصحابة، كما كان هم هذا العدو فتح الشام والاستيلاء على من بها من المؤمنين، فردهم الله بغيظهم، حيث أصابهم من الثلج العظيم، والبرد الشديد، والريح العاصف، والجوع المزعج، ما الله به عليم. فكان من حكمته أنه فيما قيل: أصاب قازان وجنوده، حتى أهلكتهم، وهو كان فيما قيل سبب رحيلهم[2].

---

(١) ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص ١٧٠.

(٢) ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص ١٧٠.

ولقد حارب غلاة الشيعة (الإسماعيلية والنصيرية والحاكمية) لأنهم ساعدوا التتار والصليبيين أثناء حروبهم مع المسلمين وقدموا لهم كثيرا من التسهيلات لقتل المسلمين، بل أكثر من ذلك فإنهم أرسلوا إلى أهل قبرص (من الصليبيين) زمن هجوم التتار فساعدوهم على أن يحصلوا على بعض الساحل، وأخذوا معهم إلى قبرص من أسرى المسلمين وسلاحهم وخيلهم الكثير، وأقاموا سوقا بالساحل لمدة عشرين يوما لبيع المسلمين وسلاحهم وخيلهم للقبارصة المقاتلين لأهل الإسلام.

ولقد دعاء شيخ الإسلام لمحاربة أهل جبل كسروان؛ لأنه كما ذكر في رسالته إلى السلطان الملك الناصر، بعد فتح جبل كسروان وقفوا إلى جنب التتار وكفروا أهل السنة، ولفساد عقائدهم، (فعندهم -كما ذكر شيخ الإسلام- أن كل من لم يوافقوا على ضلالهم فهو كافر مرتد. زمن مسح على الخفين فهو عندهم كافر، ومن حرم المتعة عندهم كافر. ومن أحب أبا بكر، أو عمر، أو عثمان، أو ترضى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر. ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر. وعندهم من قال: إن الله يرى في الآخرة فهو كافر، ومن قال: إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر، ومن قال إن الله فوق السماوات فهو كافر، ومن آمن بالقضاء والقدر، وقال إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأن الله يقلب قلوب عباده، وأن الله خالق كل شيء فهو عندهم كافر. وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فهو عندهم كافر)[1].

هكذا كما بين ابن تيمية عرف أهل جبل كسروان بغلوهم الرافضي وكراهيتهم الشديدة لأهل السنة، لأئمة الهدى أبو بكر وعمر وعثمان، وكانوا أهل بغي وظلم خرجوا على طاعة الإمام، وكانا يميلون إلى المغول أكثر من أهل الإسلام، فدعا شيخ الإسلام إلى ضرورة جهاد هؤلاء المارقين، حث نائب الشام على ضرورة

(١) ابن عبد الهادي، السابق، ص ١٨٥، ١٨٦.

غزوهم، فوافق ولي الأمر على ذلك، وجهز جيشا كبيرا شارك فيه الإمام، ونصر الله جنده، وفتح الجبل، رغم صعوبة دروبه ومسالكه.

وإذا كان توجه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى جبل الكسراوين في أول ذي الحجة من سنة أربعة وسبعمائة هجرية.

وكان في صحبة (الأمير قراقوش) وتوجه نائب السلطنة، الأمير جمال الدين الأفرم، بمن تأخر من عسكر دمشق إليهم، لغزوهم واستئصالهم في ثاني شهر المحرم من سنة خمس وسبعمائة. وكان قد توجه قبله العسكر طائفة بعد طائفة في ذي الحجة وفي يوم الخميس سابع عشر، وصل النائب والعسكر معه إلى دمشق بعد أن نصرهم الله -تعالى- على الروافض والنصيرية وأصحاب العقائد الفاسدة[1].

وهكذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية، بطلا شجاعا، قويا في الحق، ناصرا له، كارها للظلم، محاربا للظلمة وأعوانهم.

أما عن أهم موضوعات الكتاب فالكتاب يكشف عن منهجه وموقفه من آيات الصفات وكذا موقفه من مسألة الإيمان. وهل يزيد الإيمان وينقص.

ويبرز ابن تيمية مواقف أهم الفرق الإسلامية من بعض هذه المسائل ويبين الرؤية الإسلامية الصحيحة لكل مسألة من هذه المسائل.

مؤلفات ابن تيمية

ذكر ابن رشيق المغربي [ت: ٧٤٩هـ] مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة بمؤلفات ابن تيمية نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد منسوبة إلى ابن القيم، وهو وهم، وصحة نسبتها لابن رشيق المغربي. وهذه المؤلفات تشتمل

(١) السابق نفسه، ص ١٨١، ١٨٢.

مصنفاته في التفسير والعلوم الأخرى.

فبعد أن ذكر ابن رشيق تفسيره لبعض الآيات والسور، ذكر مؤلفاته في العلوم الأخرى:

مما صنفه في الأصول مبتدئا أو مجيبا لمعترض أو سائل

-كتب الإيمان، في مجلد.

-كتب الاستقامة في مجلدين.

- كتاب جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية، أربع مجلدات.

- كتاب الجواب عما أورده كمال الدين الشريشي على كتابه تعارض العقل والنقل.

- كتاب بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. في ست مجلدات.

- كتاب درء تعارض العقل والنقل. أربع مجلدات.

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، أربع مجلدات.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، في مجلدين.

- شرح أول المحصل، في مجلد.

- كتاب الرد على أهل كسروان الرافضة، في مجلدين.

- الهلاكونية. وهو جواب سؤال ورد على لسان هلاكو ملك التتار. في مجلد.

- كتاب في الوسيلة، في مجلد.

- كتاب في الرد على البكري في الاستغاثة. في مجلد.

- شرح على أول كتاب الغزنوي في أصول الدين، في مجلد لطيف.

- كتاب في الرد على المنطق. في مجلد كبير.

- شرح عقيدة الأصفهاني في مجلد.

-شرح مسائل في الأربعين للرازي، في مجلدين.

- المسائل الإسكندرية. رد فيه على ابن سبعين وغيره، في مجلد.

- كتاب في محنته في مصر، في مجلدين، وتكلم فيه على الكلام النفسي وأبطله من نحو ثمانين وجها.

-كتاب الكلام على إرادة الرب وقدرته، نحو مائة ورقة.

قواعد وفتاوى

-الكيلانية، وهو جواب في مسألة القرآن، في مجلد لطيف.

- قواعد في إثبات المعاد، والرد على ابن سينا في رسالته الأضحوية، نحو مجلد.

- تحقيق الإثبات في الأسماء والصفات: التدمرية، بحث فيها في حقيقة الجمع بين القدر والشرع.

- الفتيا الحموية، ستون ورقة. كتبها بين الظهر والعصر.

- المراكشية، وهي فتيا في الصفات. خمسون ورقة.

- فتيا في مسألة العلو. نحو خمسين ورقة.

- فتيا تضمن صفات الكمال مما يستحقه الرب -سبحانه- نحو ستين ورقة.

- الواسطية. وهي فتيا في عقدية الفرقة الناجية، نحو ثلاثين ورقة.

- جواب في تعليل مسألة الأفعال. نحو ستين ورقة.

- جواب في مسألة القرآن، وردت من مصر، نحو سبعين ورقة.

- البعلبكية، تكلم فيها على اختلاف الناس في الكلام. نحو عشرين ورقة.

- القادرية، وهي مسألة في القرآن، نحو عشر ورقات.

- جواب مسألة في القرآن؛ هل هو حرف وصوت أم لا. نحو ثلاثين ورقة.

- الأزهرية، بضع وعشرون ورقة.

- البغدادية. وهي مسألة في القرآن.

- مسائل في الشكل والنقط.

- كتاب إبطال قول الفلاسفة بإثبات الجواهر العقلية.

- كتاب إبطال قول الفلاسفة بقدم العالم، في مجلد كبير.

- قاعدة في إبطال قول الفلاسفة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد.

- قاعدة في قضايا الوهمية.

- قاعدة فيما يتناهي ومالا يتناهى.

- جواب في العزم على المعصية هل يعاقب العبد عليه. نحو عشرين ورقة.

- قاعدة في أن مخالفة الرسول -عليه الصلاة السلام- لا تكون إلا عن ظن واتباع هوى.

- قاعدة في أن الإيمان والتوحيد يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة.
- قاعدة في إثبات كرامات الأولياء. عشرين ورقة.
- قاعدة في أن حوارق العادات لا تدل على الولاية.
- قاعدة في الصبر والشكر. نحو ستين ورقة.
- قاعدة في الرضا. مجلد لطيف.
- قاعدة في أن كل آية يحتج بها مبتدع ففيها دليل على فساد قوله.
- قاعدة في أن كل دليل عقلي يحتج به مبتدع، فيه دليل على بطلان قوله، مائة ورقة.
- قاعدة في تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس.
- قاعدة في الخلوات، والفرق بين الخلوة الشرعية والبدعية.
- قاعدة في لباس الخرقة والأقطاب ونحوهم.
- الصعيدية، وهي قاعدة تتعلق بالتوبة.
- قاعدة في الفقراء والصوفية أيهم أفضل.
- قاعدة في محبة الله للعبد ومحبة العبد لله، مجلد لطيف.
- التحفة العراقية، نحم ستين ورقة.
- قاعدة في الإخلاص والتوكل. نحو خمسين ورقة.
- قاعدة في الشيوخ الأحمدية، نحو خمسين ورقة.
- قاعدة في تحريم السماع. نحو عشرين ورقة.
- تحرم السماع. في مجلد.
- تعليقة على فتوح الغيب لسيدي عبد القادر الكيلاني.
- قاعدة في شرح أسماء الله الحسنى.
- قاعدة في قوله ﷺ: «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**».
- قاعدة في الاستغفار وشرحه.
- قاعدة في أن الشريعة والحقيقة متلازمتان.
- قاعدة في الخلة والمحبة وأيهما أفضل. في مجلد.
- قاعدة في العلم المحكم، مجلد.

- قو عـ ي خلافة الصـديق. مجلد.
- رسالة في أمر يزيد هل يسب أم لا.
- رسالة في الخضر هل مات أو هو حي.
- رسالة في احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة.
- رسالة فيمن عزم على فعل محرم ثم مات.
- رسالة في أن إسماعيل عليه السلام هو الذبيح.
- رسالة الذوق والوجد الذي يذكره الصوفية.
- رسالة في قوله عليه الصلاة والسلام: «**من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب**».
- رسالة في الاشتغال بكلام الله وأسمائه وذكره، أي ذلك أفضل.
- رسالة في غض البصر وحفظ الفرج ماذا يعين عليه.
- الإربلية. وهي رسالة في الاستواء والنزول هل هو حقيقة أم لا.
- رسالة في مسألة الزوال واختلاف وقته باختلاف البلدان، في مجلد لطيف.
- رسالة في اللقاء وما ورد فيه في القرآن وغيره، نحو عشرين ورقة.
- رسالة في قرب الرب من عابديه وداعيه، مجلد لطيف.
- رسالة في الاستواء وإبطال قول من تأوله بالاستيلاء من نحو عشرين وجها.
- كتاب في الشهادتين وما يتبع ذلك. في مجلد.
- رسالة في الاستواء وإبطال قول من تأوله بالاستيلاء من نحو عشرين وجها.
- كتاب في الشهادتين وما يتبع ذلك. في مجلد.
- رسالة في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هل هي من الصغائر. وهل يكفر المنازع في تجويز الصغائر عليهم؟ نحو ثلاثين ورقة.
- رسالة في الاستطاعة هل هي مع الفعل أو قبله.
- رسالة في العين والقلب وأحواله.
- رسالة هل كان النبي ﷺ قبل الرسالة نبيا، هل يسمى من صحبه إذ ذاك صحابيا.
- رسالة هل كان النبي ﷺ قبل الوحي متعبدا بشرع من قبله من الأنبياء.

- رسالة في كفر فرعون.
- رسالة قفي ذي الفقار هل كان سيفا لعلي رضي الله عنه.
-رسالة في وجوب العدل على كل أحد في كل حال.
- رسالة في فضل السلف على الخلف في العلم.
- كتاب في الإيمان هل يزيد وينقص. في مجلد.
- رسالة في حق الله وحق رسوله وحقوق عباده وما وقع في ذلك من التفريط.
- رسالة في أن مدأ العلم الإلهي عند النبي ﷺ هو الوحي، وعند أتباعه هو الإيمان.
- رسالة في أن كل حمد وذم للمقالات والأفعال لا بد أن يكون بكتاب الله وسنة ورسوله.
- رسالة في عقيدة الأشعرية وعقيدة الماتريدي وغيره من الحنفية، نحو خمسين ورقة.
- الواسطية، وهي عقيدة.
- الحوفية، وهي عقيدة أيضا، نحو عشرين ورقة.
- رسالة في العرض والعلم هل هو كروي الشكل أم لا؟
- رسالة في الخلة والإمكان العام.
- شرح رسالة ابن عبدوس في أصول الدين.
- قاعدة فتيا لكل أمة من الخصائص، وخصائص هذه الأمة.
- قاعدة في الكليات. مجلد لطيف.
- كتاب في توحيد الفلاسفة على نظمي ابن سينا. مجلد لطيف.
- رسالة في جواب محيي الدين الأصفهاني، نحو ستين ورقة.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، مجلد لطيف.
- رسالة في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول من النصوص نحو عشرين ورقة.
- قاعدة في الفناء والاصطلام. نحو ثلاثين ورقة.
- قاعدة في العلم والحلم نحو عشرين ورقة.
- قاعدة في الاقتصاص من المظالم بالدعاء وغيره. مجلد.
- قاعدة في تزكية النفس. نحو ثلاثين ورقة.

- قاعدة في كلام ابن الشريف في التصوف. كراسة.
- قاعدة في حق الله وعباده، بضع عشرة ورقة.
- قاعدة في الزهد والورع. نحو ثلاثين ورقة.
- قاعدة في الإيمان والتوحيد وبيان ضلال من ضل في هذا الأصل.
- قاعدة في أمراض القلوب وشفائها، نحو أربعين ورقة.
- قاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة.
- قاعدة في خلة إبراهيم -عليه السلام- وأنه الإمام المطلق.
- قاعدة فيمن امتحن في الله وصبر.
- رسالة في المباينة بين الله وبين خلقه. نحو أربعين ورقة.
- قاعدة في الصفح الجميل في الهجر الجميل والصبر الجميل.
- قاعدة في اقتران الإيمان بالاحتساب.
- رسالة في قوله «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» هل هو من كلام النبي ﷺ.
- قاعدة في الرد على أهل الاتحاد، وهي جواب الطوفي، في مجلد لطيف.
- رسالة في أصول الدين للعدوية، بقدر أربعين ورقة.
- رسالة في الأصول لأهل جيلان، نحو خمسين ورقة.
- رسالة لأهل قبرص تتضمن قواعد دينية أصولية، بقدر ثلاثين ورقة.
- قاعدة فيما يتعلق بالوسيلة بالنبي ﷺ والقيام بحقوقه الواجبة على أمته في كل زمان ومكان، وبيان خصائصه التي امتاز بها على جميع العالمين، بيان فضل أمته على جميع الأمم.
- قاعدة تتعلق بالصبر المحمود والمذموم.
- قاعدة تتعلق برحمة الله في إرسال محمد ﷺ، وان إرساله أجل النعم.
- قاعدة في الشكر لله.
- رسالة في حال الحلاج، ودفع ما وقع به التحاج.
- قاعدة في العمر المكية وهل الأفضل للمجاور وأهل مكة الاعتمار أو الطواف، نحو أربعين ورقة.

- قاعدة في الكلام على المرشدة.
- قاعدة في كلام الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال: (إفراد الحدوث عن القدم).
- قاعدة التوكل والإخلاص، نحو أربعين ورقة.
- قاعدة في التسبيح والتحميد والتهليل.
- قاعدة في أن الله -تعالى- إنما خلق الخلق لعبادته.
- قاعدة في توحيد الشهادة.
- القواعد الخمس.
- قاعدة في القدرية وأنهم ثلاثة أقسام: مجوسية، ومشركية، وإبليسية.
- قاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية وما بينها وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية.
- قاعدة في وصية لقمان لابنه.
- قاعدة في تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيرها هل هو بلسان الحال أم لا.
- قاعدة في السياحة والعزلة، وفي الفقر والتصوف هل هما اسمان شرعيان.
- قاعدة في مشايخ العلم ومشايخ الفقراء أيهم أفضل.
- قاعدة في تعذيب المرء بذنب غيره.
- رسالة في العباس وبلال أيهما أفضل
- رسالة في لأهل تدمر.
- قاعدة في أن جامع الحسنات العدل، والسيئات الظلم، ومراتب الذنوب في الدنيا.
- قاعدة في فضل عشر ذي الحجة. وذكر نحو عشرين فضيلة.
- قاعدة في رسالة النبي ﷺ إلى الإنس والجن.
- قاعدة في رجوع البدع إلى شعبة من شعب الكفر.
- قاعدة في الإجماع، وله ثلاثة أقسام.
- رسالة فيمن قال إن بعض المشايخ أحيا ميتا.
- شرح العمدة، في أربع مجلدات.
- شرح المحرر.

- الصارم المسلول على شاتم الرسول.
- اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الجحيم.
- التحرير في مسألة الخضر. مجلد.
- دفع الملام عن الأئمة الأعلام. مجلد لطيف.
- قاعدة فيما يظن من تعارض النص والإجماع.

الكتب الفقيه

- قواعد في رجوع المغرور على من غره.
- قواعد في السنة والبدعة، وفي أن كل بدعة ضلالة.
- السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية.
- رسالة في فضائل الأئمة الأربعة، وما امتاز به كل إمام من الفضيلة.
- قاعدة في مقدار الكفارة في اليمين، نحو خمسين ورقة.

- قاعدة في في لفظ الحقيقة والمجاز، والبحث مع الآمدي، نحو ثمانين ورقة.
- رسالة في ذبائح أهل الكتاب.
- رسالة في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].
- رسالة في إهداء الثواب للنبي ﷺ.
- رسالة في قوله(كما صليت على إبراهيم) وفي أن االمشبة به أعلى من المشبه.
- رسالة أجوبة مسائل أصفهان.
- رسالة أجوبة مسائل الأندلس.
- رسالة أجوبة سؤال الرحبة.
- رسالة أجوبة مسائل الصلط.
- رسالة في أرض الموات إذا أحياها ثم عادت هل تملك مرة أخرى.
- رسالة في النهي عن أعياد النصارى.
- قواعد في تطهر الأرض بالشمس والريح.

- قواعد في مسائل من النذور والضمان.
- قاعدة في المائعات والمياه وأحكامها بنحو ستين ورقة.
- قاعدة في المائعاتو الميتة إذا وقعت فيها. نحو عشرين ورقة.
- قواعد في الوقف، وشروط الوقف، وفي إبداله بأجود منه، وفي بيعه عند تعذر الانتفاع.
- قاعدة في تفضيل مذهب أحمد، وذكر محاسنه، في مجلد.
- قاعدة في أن جنس فعل المأمور به أفضل من جسن ترك المنهي عنه، في مجلد لطيف.
- قاعدة في طهارة بول ما يؤكل لحمه، نحو سبعين ورقة. من ثلاثين حجة.
- قاعدة في معاهدة الكفار المطلقة والمقيدة.
- قاعدة في دم الشهيد ومداد العلماء.
- قاعدة في وجوب التسمية على الذبائح والصيد.
- قاعدة في أن كل عمل صالح أصله اتباع النبي ﷺ.
- قاعدة في تفضيل مذهب أهل المدينة نحو خمسين ورقة.
- قاعدة في نواقض الوضوء.
- قاعدة في الاجتهاد والتقليد.
- قاعدة في الجهاد والترغيب فيه.
- قاعدة في المخطئ في الاجتهاد هل يأثم، وهل المصيب واحد.
- قاعدة فيما يحل وما يحرم من الأطعمة.
- قاعدة في شمول النصوص للأحكام.
- قاعدة في طواف الحائض.
- قاعدة في فيما شرعه الله بلفظ العموم، هل يكون مشروعا بلفظ الخصوص.
- قاعدة في لعب الشطرنج.
- قاعدة في مفطرات الصائم.
- قاعدة في السفر الذي يجوز فيه القصر والفطر.

- قاعدة في الجمع بين الصلاتين.
- قاعدة فيما يشترط له الطهارة.
- قاعدة في الكنائس، وما يجوز هدمه منها. في مجلد.
- شمول النصوص في الفرائض.
- قاعدة في تقليد مذهب معين هل يجب على العامي أم لا.
- قاعدة في حلق الرأس هل يجوز في غير النسك.
- قاعدة فيما يحل ويحرم بالنسب والصهر والرضاع.
- قاعدة في الجد، هل يجبر البكر على النكاح.
- قاعدة في الجهر بالبسملة.
- قاعدة في القراءة خلف الإمام.
- قاعدة فيمن بكر وابتكر، وغسل واغتسل.
- قاعدة في ذم الوسواس.
- قاعدة في الأنبذة والمسكرات.
- قاعدة في -عليه الصلاة والسلام- «**استحللتم فروجهن بكلمة الله**».
- قاعدة في الحسبة.
- قاعدة في المسألة السريجية.
- قاعدة في حل الدور، ومسائل الجبر والمقابلة.

وله وصيا، منها:

- وصية لابن المهاجري.
- وصية للتجيبي.
- وصية لأبي القاسم يوسف السبتي.

وله إجازات منها.

- إجازة لأهل سبتة، ذكر فيها مسموعاته.
- إجازة كتبها لبعض أهل تبريز.

- إجازة لأهل غرناطة.
- إجازة لأهل أصبهان.

وله رسائل تتضمن علوما

- الرسالة المدنية.
- الرسالة المصرية.
- رسالة كتبها إلى أهل بغداد.
- رسالة إلى أهل البصرة.
- رسالة كتبها إلى القاضي السروجي الحنفي.
- رسالة العدوية كتبها إلى بيت الشيخ عدي بن مسافر.
- رسالة كتبها إلى بيت الشيخ جاكير.
- رسالة كتبها إلى صاحب قبرص في مصالح تتعلق بالمسلمين.
- رسالة إلى البحرين وملوك العرب.
- رسالة لأهل العراق.
- رسالة إلى ملك مصر.
- رسالة إلى ملك حماة.
- رسالة العرش.
- رسالة تكسير الأحجار.
- رسالة في المسألة الحرفية.
- رسالة في إثبات وجود النفس بعد الموت.
- رسالة شرح دعاء أبي بكر -رضي الله عنه.
- الدر المنثور في زيارة القبور.
- شرح العقيدة الأصفهانية.
- الفرقان بين الحق والبطلان، ستين ورقة.
- رسالة في عرض الأديان عند الموت.
- رسالة في المفضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر.

ثانيا: منهج ابن تيمية في التفسير

إن منهج ابن تيمية في التفسير هو منهج النصيين الذين ابتعدوا تماما عن كل تأويل منحرف، فهو الذي يقول: (فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام). فعن جندب أنه قال: من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ[١]؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ، قال (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[٢] ولذا فإن شيخ الإسلام حمل حملة شعواء على تفاسير المعتزلة والرافضة وعلماء الكلام الذين غالوا في تأويلاتهم، وحملوا ألفاظ القرآن الكريم ما يحتمله من معان غريبة عنه.

يقول الإمام ابن تيمية: (هذه الآثار الصحيحة يقصد التي تنهي عن التفسير بغير علم، وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم من الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا، فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما لا علم لهم به، فكذلك يجب القول فيما سأل عنه مما يعمله، لقوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٨٧][٣].

وقد وضع ابن تيمية رسالته الهامة (مقدمة في أصول التفسير) التي يقول عنها الأستاذ محمد بهجة البيطار: (هذه فيض من بحره، قد أملاها من فؤاده كما قال. وأودعها نفائس لآلئه ودرره، فهي تريك صحة ناصعة من دراسة سلفنا للقرآن وفهمه، وتهديك لحل بعض مشكلات التفسير ومصطلحاته، وتدلك على أهدى

---

(١) حديث غريب، قال الترمذي: حديث غريب، وفي بعض رواته كلام.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٣) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص١٠٦.

المفسرين وأفضل كتبهم)[١].

ولقد جمع الإمام ابن تيمية النصوص الحديثية التي تبين خطورة القول في القرآن بغير علم، فعن ابن عباس، قال: (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) [الترمذي] وعن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) قال الترمذي هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل ابن أبي حزم أحد رواة هذا الحديث.

يقول ابن تيمية: (وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن وفسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم، وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم، فمن قال في القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكن قد أخطأ، لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرما ممن أخطأ والله أعلم)[٢].

ولقد اهتم شيخ الإسلام بالتفسير بالمأثور القائم على تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وأقوال التابعين -رضوان الله عليهم أجمعين-، وتفسير القرآن باللغة، وهذا المنهج هو منهج السلف.

أولا: تفسير القرآن بالقرآن

من المعلومات أن آيات القرآن الكريم يوضح بعضها بعضا، فعالم التفسير يلاحظ أن ما اختصر في مكان بسط في مكان آخر، وأن ما جاء عاما أو مطلقا في مكان، خصص وقيد في مكان آخر.

---

(١) البيطار، محمد بهجت، حياة شيخ الإسلام، ص ١٨٧.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ١٣، ٣٧١.

يقول الشيخ إبراهيم عقيلي: (الناظر في كتابات ابن تيمية يلاحظ كثرة استخدامه وتطبيقه لقاعدة تفسير القرآن بالقرآن، لا سيما في احتجاجه، ومناقشته لأراء الفرق المبتدعة فهو دائما يعمد إلى جمع الآيات ذات الموضوع الواحد، فيفسر بعضها في ضوء بعض، بل قد يستقرئ جميع الآيات التي تدور في المعنى نفسه، أو تستخدم اللفظ نفسه لكي يلاحظ مدى وجود الفروق في استعمالات القرآن لنفس الألفاظ، حتى يتمكن من استنتاج المعنى المراد بدقة. وهذه الطريقة هي أشبه بالتفسير الموضوعي)[1]. وما قاله الأستاذ عقيلي صحيح، فابن تيمية في سائر تفسيراته يبرز أهمية تفسير القرآن بالقرآن في مواجهة أراء واتجاهات غلاة المؤولين وأصحاب الفرق المبتدعة. (وقد اتخذ ابن تيمية هذه القاعدة) (ت:فسر القرآن بالقرآن) سندا قويا في تفسير القرآن، ورد بها على كل من يزعم أن في القرآن آيات متشابهات لا يعلم أحد معناها، لأن هذا القول يلزم منه أن يكون الله خاطبنا بما لا يفهم أحد المراد منه، وبما لا يعقل له معنى، بل كلفنا ما لا نطيقه، وهذا لا يقوله عاقل يدري ما يقول، وما من آية يقال إنها متشابهة، إلا وقد تكلم فيها العلماء، مما يدل على أن المتشابه المذكور في سورة آل عمران: ﴿ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] إما أن يكون نسبيا يدركه بعض الناس دون بعض لتفاوت درجاتهم في العلم بالقرآن الكريم، وإما أن يكون عاما باعتبار استئثار الله بعلمه كتأويل آيات الوعد والوعيد وآيات الصفات ما لا يعلم أحد صفته ولا كيفيته، ولكن لا يجوز القول بأن العلماء يجهلون معناه جملة، بل يعلمونه من وجه دون وجه. لذلك لم يحجم ابن تيمية عن تفسير شيء من القرآن، ولم يتحفظ في تفسير آيات الصفات بعضها ببعض، إذ كل ما في القرآن يصدق بعضه بعضا، وتتناسب معانيه وتتشابه، فلا يوجد بين آياته اختلاف بمعنى التناقض بحيث يقع التعارض بين ما تثبته هذه الآية وما تنفيه الآخرة، بقوله تعلى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ

(١) عقيلي إبراهيم، تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، طبعة المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة ١٤١٥، ١٩٩٥م، ص ١٨٢.

غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. والاختلاف الواقع إنما هو من قبيل التنوع[١].

نموذج تفسير القرآن بالقرآن

قال -تعالى-: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الأحزاب: ٦].

قال شيخ الإسلام: هذه الآية المقيدة تقضي على تلك المطلقة من سورة الأنفال لثلاثة أوجه:

أحدهما: أن سورة الأحزاب بعد الخندق، وتلك في الأنفال عقب بدر.

الثاني: أن هذا مطلق ومقيد في حكم واحد وسبب واحد. والحكم هنا متضمن للإباحة، والاستحقاق والتحريم على التغير، وإيجاب الإعطاء.

الثالث: أن آية الأنفال ذكر فيها الأولوية بعد أن قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين أيضا، فهي دليل ثان، وهاتان الآيتان تفسران المطلق في آية المواريث، ويكون هذا تفسير القرآن بالقرآن، وإن كان قوله: (لا يرث الكافر المسلم) موافقا له، فأما ميراث المسلم من الكافر ففيه الخلاف الشاذ فنستفيد من الآيتين سائر الولايات، من المناكح، والأموال، والعقل، والموت، وفي قوله: ﴿ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٦] دليل على الوصية كآيات النساء[٢].

تفسير القرآن بالسنة

يقول ابن تيمية: (السنة شارحة للقرآن وموضحة له، بل قال الإمام الشافعي:

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، حـ١٥، ص ٤٤٣.

كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهمه من القرآن، قال -تعالى-: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥]. ولهذا قال رسول الله ﷺ «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» [سنن أبي داود]. والسنة تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، لا أنها تتلى، وقد استدل الإمام الشافعي وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس موضع ذلك[١].

ولقد كان منهج رسول الله ﷺ في تفسير القرآن الكريم أنه: (لا يطنب في تفسير الآية أو يخرج إلى ما لا فائدة في معرفته ولا ثمرة في إدراكه فكان جل تفسيره ﷺ بيانا لمجمل، أو توضيحا لمشكل، أو تخصيصا لعام، أو تقييدا لمطلق، أو بيانا لمعنى لفظ أو متعلق)[٢].

وفي رسالته (معارج الوصول إلى معرفة أصول الدين وفروعه) افتتح ابن تيمية رسالته هذه بذكره: (فصل في أن رسول الله ﷺ بين الدين، أصوله وفروعه، وباطنه وظاهره، علمه وعمله، فإن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علما وعملا)[٣].

ولقد سار الإمام ابن تيمية على نهج لإمام أحمد بن حنبل في أهمية اعتبار السنة كمفسرة للقرآن، ويقول في ذلك ابن حنبل: (إن الله جل ثناءه، وتقدست أسماؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، لو كره المشركون، وأنزل عليه كتابه فيه الهدى والنور لمن ابتعه، وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره وباطنه، وخاصة وعامه، وناسخه، ومنسوخه، وما قصد له الكتاب، فكان رسول

---

(١) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص ٩٣، ٩٤.

(٢) الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة بالرياض، ١٤١٣هـ ص ١٩.

(٣) ابن تيمية، معارج الوصول..، طبع الخانجي بمصر ١٣٢٣ هـ ص ٣.

الله ﷺ هو المعبر عن كتاب الله الدال على معانيه وشاهده في أصحابه الذين ارتضاهم لنبيه، واصطفاهم له، ونقلوا ذلك عنه فكانوا أعلم الناس برسول الله، وبما أراد الله من كتابه بمشاهدتهم، وما قصد له الكتاب، فكانوا المعبرين عن ذلك بعد رسول الله ﷺ)[1].

وإن الاحتجاج بالنسبة أكده القرآن الكريم من خلال قول الله -تعالى-: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

ومن خلال قول الله -تعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

والسنة بإجماع فقهاء المسلمين مفسرة لكتاب الله -تعالى- ومفصلة لمجمل. والحقيقة أنه ما من حكم في سنة رسول الله ﷺ إلا له أصل في القرآن الكريم بالعبارة أو الإشارة.

ولقد قسم ابن تيمية السنة إلى ثلاثة أقسام، وذكر أنها جميعها حجة: (أولها: السنة المتواترة التي لا تخالف ظاهر القرآن بل تفسره، مثل أعداد الصلاة، وعدد ركعاتها، ونصاب الزكاة بكل أنواعها وفرائضها، وصفة الحج ونسكه، والعمرة وأركانها، وغير ذلك من الأحكام التي لم تعلم إلا من طريق السنة، وهذه قد أجمع العلماء على أنها تتمة للقرآن، ومن أنكر حجيتها فقد أنكر شيئا علم من الدين بالضرورة وهدم ركن الإسلام، وخلع الربقة...

والقسم الثاني: السنة التي لا تفسر القرآن، ولا تخالف ظاهره، ولكنها تأتي بحكم جديد ليس بمنصوص عليه فيه، كرجم الزاني، وتقدير نصاب السرقة، وقرر ابن تيمية أن مذهب السلف والفقهاء أجمعين ما عدا الخوارج الاحتجاج بها.

---

(١) أبو زهرة محمد، ابن حنبل، ص ٢١٠.

والقسم الثالث: ما روي بأحاديث أحاد برواية ثقات، وهذه أيضا قد اتفق أهل العلم على قولها واتباعها، وقد اشترط بعضهم ألا تعارض ظاهر القرآن)[١].

وقد فسر رسول الله ﷺ لأصحابه، ما أشكل عليهم من معاني آيات القرآن الكريم، ثم إن رسول الله ﷺ لم يترك شيئا من الدين من غير أن يوضحه لأصحابه وأمته من بعده. (فقد بين جميع الدين أصوله وفروعه باطنه وظاهره، علمه وعمله، فإن هذا الأصل هو أصل من أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علما وعملا)[٢].

ومما يدل على أن رسول الله ﷺ كان يفسر لأصحابه ما أشكل عليهم قول أبي عبد الرحمن السلمي: (حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن أن عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ، عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا)[٣].

ونحن نعلم أن سنة رسول الله ﷺ هي المرجع الثاني لتفسير كتاب الله -عز وجل- يقول رسول الله ﷺ: **«إلا إني أوتيت القرآن ومثله معه»** [رواه أبو داود]، ولقد سبق لنا ذكره هذا الحديث.

والإمام ابن تيمية ممن يرون أن النبي ﷺ فسر جميع آيات القرآن الكريم، بينما يرى فريق آخر مثل الخوبي أن رسول الله ﷺ لم يفسر إلا آيات قليلة من كتاب الله - عز وجل.

---

(١) أبو زهرة محمد، ابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه الفقهية، طبعة دار الفكر العربي بمصر، ١٩٧٧، ص ٤٥٦.

(٢) ابن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى، حـ١، ص ١٧٥.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى، جـ ١٧، ص ٣٩٦.

ويدافع الأستاذ إبراهيم عقيلي عن رأي ابن تيمية فيقول: (إن الذين حكموا بشمول التفسير النبوي لجميع آيات القرآن كابن تيمية، لم يقصدوا أن الرسول ﷺ تتبع ألفاظه ومعانيه، ووقف عند كل آية على حدة من أجل إعطاء شرح واف لها، وإنما قصد -كما يبدو- أن جميع ما تحتاجه الأمة من معرفة دينها لا في الأصول ولا في الفروع، إلا وقد بينه لأصحابه، إما على سبيل التفسير المباشر لمعاني الآيات أو غير المباشر، من خلال أقواله وأفعاله وتقريراته العامة، وتصديق ذلك أن عائشة -رضي الله عنها- عندما سئلت عن خلق النبي ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن)[1].

ومعنى هذه كما يقول الأستاذ عقيلي: (أن رسول الله ﷺ جعل أقواله وأفعاله وأخلاقه تفسيرا للقرآن، وترجمة لمعانيه ومقاصده. فمن حصر التفسير النبوي في نطاق المأثور منه فقط، الذي اعتاد المفسرون الاحتفاء به، فقد ضيق مجال التفسير النبوي وجعله قاصرا على بيان بعض الآيات فقط، ولعل هذا الموقف من ابن تيمية جاء نتيجة لتعسفات بعض المفسرين في حمل آيات القرآن وألفاظه على ما لا يجوز من المعاني، وعلى تأويلات بعيدة غير محتملة من الخطاب القرآني، ولا ريب أن قول ابن تيمية على ما فيه من تعميم، ساهم في توسيع نطاق التفسير النبوي لكي يشمل الجانب غير المباشر، وهو أهم بكثير من الجانب المباشر)[2].

وهذا الرأي له وجاهته، وإن كان رسول الله ﷺ، من الناحية الفعلية والعملية فسر لأصحابه ما أشكل عليهم من ألفاظ القرآن الكريم ومعانية وما أسند إلى رسول الله ﷺ، في هذا الشأن حجمه قليل.

نماذج مما جاء في تفسير رسول الله ﷺ

ذكر الإمام ابن تيمية في كتبه بعض ما جاء في تفسير رسول الله ﷺ: لبعض

---

(١) عقيلي إبراهيم، تكامل المنهج العرفي عند ابن تيمية ، ص ١٨٩.
(٢) المرجع السابق، ص ١٩.

الآيات، مثل ذلك:

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ [البقرة: ٥٨] روى ابن أبي حاتم من وجهين ثابتين، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ [البقرة: ٥٨] قال: ركعا من باب صغير، فدخلوا من قبل استاهم، وقالوا حنطة[1].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [البقرة: ٦٢]. حديث سلمان: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم فذكرت من عبادتهم فنزلت الآية.

قال: هذا تفسير آيات أشكلت حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير، إلا ما هو خطأ فيها، منها قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [البقرة: ٦٢] الآيتين، فهو سبحانه وصف أهل السعادة من الأولين والآخرين، وهو الذي يدل عليه اللفظ، ويعرف به معناه من غير تناقض ومناسبة لما قبلها ولما بعدها، وهو المعروف عند السلف، ويدل عليه ما ذكروه من سبب نزولها بالأسانيد الثابتة عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال سلمان: سألت النبي ﷺ، فذكره[2].

وقال: لم يذكر فيه: (أنهم من أهل النار، كما روي بأسانيد ضعيفة، وهذا هو

---

(١) ابن تيمية، جامع الرسائل، ١/ ٢٩، والحديث أخرجه أيضا الطبري في تفسير جـ١/ ٢٩٩، ٣٠٠، عن محمد بن بشار، عن أبي حميد الزبيري، وعن الحسن بن الزبرقان النخعي عن أبي أسامة كلاهما عن سفيان به.

(٢) أخرج الحديث ابن أبي عمر العدني في مسنده، عن ابن أبي نجيح به، ولفظه سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرت في صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ [البقرة: ٦٢] أخرجه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن ابن أبي عمر العدني به، تفسير ابن كثير، جـ١/ ١٤٧، دار الشعب.

الصحيح كما في مسلم: إلا بقايا من أهل الكتاب.

والنبي ﷺ لم يكن يجيب بما لا علم عنده، وقد ثبت أنه أثنى على من مات في الفترة، كزيد بن عمرو وغيره، ولم يذكر ابن أبي حاتم خلافات عن السلف، لكن ذكر عن ابن عباس، ثم أنزل الله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥] ومراده أن الله يبين أنه لا يقبل إلا الإسلام من الأولين والآخرين، وكثير من السلف يريد بلفظ النسخ رفع ما يظن أن الآية دالة عليه، فإن من المعلوم أن من كذب رسولا واحدا فهو كافر فلا يتناوله قوله: (من آمن بالله)[1].

وظن بعض الناس: أن الآية فيمن بعث إليهم محمدا ﷺ، فغلطوا ثم افترقوا على أقوال متناقضة[2].

روي ابن أبي حاتم بأسانيد ثابتة عن شعبة، عن السدي سمع أبا صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]. هو عيسى، وأمه وعزير والملائكة[3].

ومن نماذج تفسير القرآن بالسنة: قوله -تعالى-: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

قال شيخ الإسلام: (الآية دليل على مثل معنى الحديث الصحيح: «أنا أولى

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جـ ١/ ١٨٢ وكذا ذكره ابن كثير في تفسيره جـ١/ ١٤٧.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ ١٤/ ٦٨، ٦٩.

(٣) ابن تيمية، الرد على المنطقيين، تعليق عبد الصمد الكتبي، جـ١ إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ص ٥٢٨.

بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك مالا فلورثته، ومن ترك كلا أو ضياعا فعلي» حيث جعله الله أولى بهم من أنفسهم، ثم جعل الأقارب بعضهم أولى ببعض؛ لأن كونه أولى بهم من أنفسهم يقتضي أن يكون بهم من أولي أرحامهم، وذلك لا يقتضي ملك ما لهم أحياء فكذلك أمواتا، وإنما يقتضي حمل الكل والضياع من ماله، وهو الخمسن أو خمسه، أو مال الفيء كله، على الخلاف المعروف، وفيه دليل على أن الأولوية المقتضية للميراث المذكورة في قوله ﷺ: «فلأولى رجل ذكر» مشروطة بالإيمان)[1].

تفسير الصحابة والتابعين

تميز تفسير الصحابة بعدة مزايا منها:

١- قلة الأخذ بالإسرائيليات وتناولها في التفسير لحرصه ﷺ على اقتصار أصحابه على نبع الإسلام الصافي الذي لم تكدره الأهواء ولم تشبه الاختلافات والافتراءات.

٢- لم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله ، إذ أن بعض الآيات نن الوضوح لديهم بحيث لا تحتاج إلى خوض في تفسيرا لتضلعهم في اللغة ومعرفتهم بأحوال المجتمع آنذاك.

٣- كانوا لا يتكلفون التفسير ولا يتعمقون فيه تعمقا مذموما.

٤- قلة تدوينهم للتفسير وإن أغلب ما روي عنهم كان بالرواية والتلقين وليس بالتدوين، وإن كان بعض الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص كان يعتني بالتدوين[2].

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ ١٥، ص ٤٢٢.

(٢) الرومي، فهد، بحوث في أصول التفسير ومنهجه، ص ٢١.

ويعتبر ابن تيمية أن الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-، هم أعلم الأمة بالتفسير، لأنهم الذين شاهدوا رسول الله ﷺ ونقلوا عنه، وبما اختصوا به من الفهم الصحيح والعمل الصالح، ولاسيما كبار علمائهم كالخلفاء الراشدين الأربعة والأئمة المهديين كعبد الله بن مسعود وترجمان القرآن عبد الله بن عباس[١].

والحقيقة أن هناك عددا من صحابة رسول الله ﷺ وهبهم الله -عز وجل- فما في القرآن ، ومعرفة بأسباب النزول من أبرزهم ابن مسعود الذي كان يقول: (والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته).

وكذلك عبد الله بن عباس الذي دعا له رسول الله ﷺ بأن يعمله الله -تعالى- التأويل أي التفسير فقال رسول الله ﷺ «**أللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**».

وأصحاب ابن عباس من الثقات كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أصحاب ابن عباس الأخصاء الذين رووا عنه ما فسره من القرآن وما رواه من الحديث، وما نقلوا عنه في سائر العلوم: الحديث والفقه، والتفسير وشرح الغريب، وغير ذلك: سعيد بن جبير. وطاووس بن كيسان، ومجاهد بن جبر، وعكرمة مولاه، وعمر بن دينار، وجابر بن زيد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، فهؤلاء المخصوصون به وبطريقهم انتشر علمه)[٢].

كذلك أشار الشيخ ابن تيمية إلى جملة من الضعفاء والكذابين الذين رووا التفسير عن ابن عباس منهم: جويبر بن سعيد، وغيره حيث قال: (وأما التفاسير

---

(١) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، ١٩٧١م، ص ٩٥.

(٢) ابن تيمية،، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه الشيخ محمد، توزيع دار الإفتاء بالرياض جـ ١٣، ص ١٦.

المضافة إلى ابن عباس كالتفسير الذي يرويه جويبر بن سعيد عن الضحاك، عن ابن عباس، فجويبر ضعفه علي بن المديني، ويحيى بن سيعد القطان، وقال أحمد عنه: لا يشتغل بحديث، وقال يحيى بن سعيد الخراساني البلخي: لا يلتفت إليه، وقال علي بن الجنيد، والدارقطني: متروك والضحاك لم يسمع من ابن عباس حرفا واحدا)[١].

ذكر أيضا شيخ الإسلام جملة من الرواة الضعفاء عن ابن عباس منهم عبيد الله بن سليمان، ومحمد بن سعد العوفي، وأبي النضر محمد بن السائب الكلبي، وموسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني، ومقاتل بن سليمان.

فمثلا الكلبي من المتهمين (ومن روايات الضعفاء عن ابن عباس التفسير المنسوب لأبي النضر محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب، وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه كل شيء عن أبي صالح كذب. وتفسير يرويه الكلبي، عن أبي صالح باذام عن ابن عباس ، والكلبي كذاب، وباذام ضعيف، ولم يسمع من ابن عباس شيئا. وقال عبد الصمد بن الفضل: سئل أحمد عن تفسير الكلبي فقال كذب، فقيل: أيحل النظر فيه؟ قال: لا .. وقال حبيب بن أبي ثابت: كنا نسمي أبا صالح باذام دور غزن أي كذابا يكذب)[٢].

وقال عن تفسير مقاتل بن سليمان: (إنه متروك بخلاف مقاتل بن حيان، فإنه ثقة)[٣].

ومن التابعين الثقات مجاهد بن جبر، لأن التفسير الذي يروي عنه من طريق أبي نجيح عن مجاهد وهو ثقة قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، والأئمة كالشافعي وأحمد والبخاري، ونحوهم يعتمدون على تفسيره والبخاري في

(١) الرد على البكري، ص ١٥، ١٦.
(٢) المرجع السابق: ص ١٦.
(٣) المرجع السابق: ص١٥.

صحيحه أكثر ما ينقله من التفسير ينقله عنه، والحسن البصري أعلم التابعين بالبصرة[١].

وإن علم التابعين بالتفسير كما يقول ابن تيمية هم أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، عكرمة مولى ابن عباس، وطاووس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح[٢].

وفي رأي شيخ الإسلام أن أفضل وأشهر التابعين في التفسير هو مجاهد تلميذ ابن عباس لكن أيضا إلى جانب مجاهد بن جبر تلميذ حبر الأمة في مكة هناك أصحاب أبي ابن كعب في المدينة، كزيد بن أسلم ومحمد بن كعب القرظي، وكذا أصحاب عبد الله بن مسعود في الكوفة كقتادة بن دعامة السدوسي والحسن البصري.

وبالنسبة للإسرائيليات التي حوتها بعض التفاسير أكد ابن تيمية على ضرورة التثبت منها، وقال: (وقد أجمع المسلمون إلى أن ما ينقله هؤلاء يقصد الذين يروون الإسرائيليات وهب بن منبه وكعب الأحبار، وغيرهما عن الأنبياء المتقدمين لا يجوز أن يجعل عمدة في دين المسلمين إلا إذا ثبت ذلك بنقل متواتر، أو أن يكون منقولا عن خاتم المرسلين)[٣].

ولقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، فإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه**» [أحمد]. يقول الإمام ابن تيمية: (إن بين كعب الأحبار، وبين النبي الذي

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ ١٥، ص ٢٠١.

(٢) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص ٦١.

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: دكتور نصار بن عبد الكريم العقل، ط١/ ١٤٠٤، ص ٨١٣.

ينقل عنه (يقصد الإسرائيليات) ألف سنة، وأكثر وأقل وهو لم يسند ذلك عن ثقة بعد ثقة، بل غايته أن ينقل عن بعض الكتب التي كتبها شيوخ اليهود، وقد أخبر الله بتبديلهم وتحريفهم، فكيف يحل للمسلم أن يصدق شيئا من ذلك بمجرد هذا النقل بل الواجب أن لا يصدق ذلك، ولا يكذبه أيضا إلا بدليل يدل على كذبه، وهكذا أمرنا النبي ﷺ وفي هذه الإسرائيليات مما هو كذب على الأنبياء، أو ما هو منسوخ في شرعيتنا، ما لا يعلمه إلا الله[١].

وقد حذرنا ابن تيمية من كثرة الإسرائيليات في بعض التفاسير وقال: (الإسرائيليات تذكر على وجه المتابعة لا على وجه الاعتماد عليها وحدها)[٢].

وهكذا ينبغي تنقية التفاسير مما ران علي بعضها من إسرائيليات مشكوك في درجة صحتها بحيث لا يبقى منها إلا ما شهد له بالصدق، وتأكد صحته، فهذا دين والدين لا يؤخذ من مرويات موضوعة.

تفسير القرآن عن طريق اللغة

يرى بن تيمية أنه إلا لم يجد المفسر ما يرجع إليه في تفسير القرآن الكريم، عن طريق تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن السنة، أو عن طريق أقوال الصحابة والتابعين، يرجع المفسر إلى اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة.

يقول الأستاذ عقيلي: (إن ابن تيمية يتخذ لغة القرآن والسنة أصلا يعتمد عليه في التفسير، ولا يعدل عن ذلك إلى الاحتجاج بأقوال أهل اللغة إلا عند الحاجة حتى لا تكون لغة الوحي تابعة لغيرها، وهذا المنهج مستقيم لأنه يعطي الأولوية في التفسير لصاحب النص نفسه؛ لأن مفهوم الخطاب تابع مراد المخاطب، فأي

---

(١) ابن تيمي، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: دكتور نصار بن عبد الكريم العقل، ط١/ ١٤٠٤، ص ٨١٣.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، وجـ٥،، ص ٤٦٤.

خطاب له خصوصية تميزه عن غيره، ولذلك لم يمنع تفسير القرآن بعموم لغة العرب وإنما منع من تفسيره باللغة والاصطلاحات الحادثة التي تختلف عن لغة الشارع، يقول: من أعظم الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح، ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها[1].

(١) عقيلي، إبراهيم، تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية ص ١٩٥، ١٩٦.

ثالثا: ابن تيمية وموقفه من تأويل آيات الصفات والأحاديث الواردة فيها

معنى التأويل لغة: في معجم مقاييس اللغة لابن فارس يقول: (آل يؤول أي: رجع. قال يعقوب: يقال: أول الحكم إلى أهله أي أرجعه ورده إليهم، وفي هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله -تعالى-: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]. ويقول: ما يؤول إليه وقت بعثهم ونشورهم)[١].

وفي لسان العرب لابن منظور يقول: (الأول الرجوع، وأول إليه الشيء: رجعه، وأول الكلام تأوله: فسره، وقوله -عز وجل-: ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس: ٣٩]. أي لم يكن معهم علم تأويله، وقال أبو عبيد في قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧]. قال التأويل: المرجع والمصير[٢].

من هنا نلاحظ أن لفظ التأويل في الأصل معناه في اللغة: العود والمرجع والمصير، ونجد نفس المعنى اللغوي للتأويل لدى المفسرين العظام كالطبري الذي يقول في تفسير قوله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩]. يعني وأحسن موئلا وأجمل عاقبة، وعن مجاهد: ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩] قال: أحسن جزاء.

معنى التأويل عند ابن تيمية

أشار ابن تيمية إلى أن لفظ التأويل قد يراد به ما يؤول إليه الأمر، وأيضا قد يراد به تفسير الكلام، وذكر معناه بكلام أوضح وأبين ويؤكد ابن تيمية هذا المعنى من خلال أقوال المفسرين فيقول: عن ابن عباس في قوال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ص١٥٩، ١٦٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب م١١، ص ٣٣، ٣٤.

﴿تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: تصديق ما وعد في القرآن، وعن قتادة: تأويله ثوابه، وعن مجاهد: جزاءه. وعن السدي: عاقبته، وعن زيد: حقيقته، قال بعضهم: تأويله، ما يؤول إليه أمرهم من العذاب وورود النار)[١].

وقد دعا رسول الله ﷺ لابن عباس فقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» [البخاري].

وكذلك فإن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- بين أن التفسير على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، فمن ادعى علمه فهو كاذب)[٢].

المحكم والمتشابه

بين الإمام ابن تيمية أن علماء السلف اختلفوا في تحديد ما هو محكم وما هو متشابه على عدة أقوال، وقد ذكر البغوي من قبل هذه أقوال في تفسير:

الأول: المحكم: وهو الناسخ الذي يعمل به، والمتشابه: المنسوخ يؤمن به ولا يعمل به، وهو قول قتادة والربيع والضحاك والسدين، **الثاني**: المحكم ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد. والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجها. وهو قول الشافعي وأحمد في رواية عنه، **الثالث**: المتشابه: ما تكررت ألفاظه كالقصص تروى بألفاظ مختلفة على وجود التشابه في المعنى وذلك قول عبد الرحمن بن زيد. **الرابع**: المحكم من القرآن ناسخه وحلاله وحرامه حدوده وفرائضه، وما يؤمن به ويعمل به والمتشابه: هو منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به[٣].

---

(١) ابن تيمية الفتاوى، ١٧/ ٣٦٤.

(٢) ابن تيمية الفتاوى، ١٧/ ٤٠٠.

(٣) ابن تيمية الفتاوى، ١٧/ ٣٨٦ وما بعدها.

وعن المحكم والمتشابه في تفسير قول الله -تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]. يقول البغوي: محكمات أي مبينات مفصلات سميت محكمات من الإحكام كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن أم الكتاب) أي: أصله الذي يقوم عليه في الأحكام. (وأخر) جمع آخر ولم يصرفه لأنه معدول عن الآخر مثل عمر وآخر متشابهات، فإن قيل: كيف فرق هاهنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل الله كل القرآن محكما في مواضع آخر فقال: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود: ١] وجعل كله متشابها فقال: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ [الزمر: ٢٣]. قيل: حيث جعل الكل متشابها أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق وفي الحسن، وجعل ها هنا بعضه محكما وبعضه متشابها، واختلف العلماء فيهما فقال ابن عباس -رضي الله عنهما- المحكمات هن الآيات الثلاث في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١]. ونظيرها في بني إسرائيل: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣].الآيات، وعنه أنه قال: المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور)[1].

وقال الإمام البغوي أيضا: قال مجاهد وعكرمة: المحكم ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضا في الحق ويصدق بعضه بعضا، وقال قتادة والضحاك والسدي، والمحكم الناسخ الذي يعمل به، والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به، وروي على بن أبي طلحة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: محكمات القرآن: ناسخة، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمن به، ويعمل به، والمتشابهات: منسوخة، ومقدمة، ومؤخرة، وأمثاله، وأقسامه،

---

(١) البغوي: مختصر البغوي المسمى (معالم التنزيل) اختصار وتعليق الدكتور عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، جـ١، ص١٠٧.

وما يؤمن به ولا يعمل به، وقيل: المحكمات ما أوقف الله الخلق على معناه، والمتشابه ما استأثر الله -تعالى- بعلمه، ولا سبيل لأحد إلى علمه، نحو الخبر عن أشراط الساعة، وخروج الدجال ونزول عيسى - عليه السلام- وطلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة ، وفناء الدنيا.

قال أحمد بن جعفر بن الزبير: (المحكم ما لا يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه ما يحتمل أوجها، قيل: المحكم ما يعرف معناه وتكون حجته واضحة، ودلائله لائحة لا يشتبه، والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل، وقال بعضهم: المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره)[1].

وعن سبب نزول الآية السابقة من سورة آل عمران: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ ﴾[آل عمرن: ٧].

يذكر الإمام الطبري في تفسيره روايتين أولاهما: (أنه كان قوم من اليهود على عهد رسول الله ﷺ طمعوا أن يدركوا من قبلها (أي الحروف المقطعة التي توجد في بعض أوائل السور، مدة الإسلام وأهله، ويعلموا نهاية محمد أمته، فأكذب الله أحدوثتهم بذلك؛ وأعلمهم أن ما ابتغوا علمه من ذلك من قبل هذه الحروف المتشابهة لا يدركونه ولا من قبل غيرها وأن ذلك لا يعمله إلا الله -تعالى-)[2].

والإمام ابن تيمية يضعف هذه الرواية ولا يأخذ بها لأنها من طريق الكلبي، وهو مجروح، ولأن سؤال اليهود -إن صح- فقد كان في بداية مقدم النبي ﷺ إلى المدينة، وهذا لا يتوافق مع نزول أول سورة آل عمران متأخرة عن هذا الزمان ولأن

(١) المرجع السابق، ص١٠٨.
(٢) الطبري، جامع البيان، مجلد ٣، ص ١٧٤.

دلالة حروف المعجم مثل آلم وغيرها على مدة بقاء الأمة دلالة باطلة[١].

أما الرواية الثانية فهي التي تشير إلى أن وفد نصارى نجران حينما ناظروا رسول الله ﷺ في أمر المسيح، واحتدوا على أن الآلهة ثلاثة بما جاء في القرآن الكريم من ضمائر الجمع مثل نحن، وإنا، وقضينا ودعاهم الرسول ﷺ إلى المباهلة لم يجيبوه وأقروا بالجزية عليهم.

والحقيقة إن وفد نصارى نجران احتجوا بمتشابه القرآن. وتركوا الآيات المحكمة التي تفيد وحدانية الله -تعالى- مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]. ومسألة استخدام ضمائر الجمع مثل (نحن، وإنا) فإن العلماء أجازوا استعمال ضمير الجمع كما يجوز لملوك الأرض أن يقول أحدهم: نحن فعلنا كذا وكذا ومقصوده أن فعله تم بواسطة أهل ملكه، ولله المثل الأعلى.ولما كان اللفظ واحدا والمعنى متنوع، وقع الاشتباه لهؤلاء النصارى، فوضعوا اللفظ في غير موضعه، وكان من قصدهم إثارة الفتنة وابتغاء تأويله الذي هو المدلول الخارجي الذي يدل عليه اللفظ وهذا ما لا يعلمه أحد إلا الله[٢].

وقول الإمام البغوي في تفسير قول الله -تعالى-: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٧] اختلفوا في المعنى بهذه الآية، قال الربيع: هو وفد نجران، خاصموا النبي ﷺ في عيسى -عليه السلام-، وقالوا له: (ألست تزعم أنه كملة الله وروح منه؟ قال: بلى، قالوا: حسبنا ذلك، فأنزل الله هذه الآية).

وقال الكلبي:)هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخراجه بحساب الجمل، وقال ابن جريح: هم المنافقون، وقال الحسن: هم الخوارج، وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ [آل عمران: ٧] قال: إن لم يكونوا

(١) ابن تيمية، الفتاوى، حـ١٧/ ص ٣٩٨.
(٢) المرجع السابق، جـ ١٧، ص ٣٧٧، ٣٧٨.

الحرورية (الخوارج) والسبئية (أتباع عبد الله بن سبأ رأس غلاة الشعية) فلا أدري من هم؟ وقيل: هم جميع المبتدعة[١].

التأويل عند علماء الكلام

يعرفه علماء الكلام بأنه: (صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به)[٢].

وقال ابن تيمية عن هذا التعريف: (الخلاف في اللفظ على المعنى المرجوح، وأنه حمل اللفظ على الاحتمال المرجوح دون الراجح لدليل يقترن به. فهذا اصطلاح متأخر، وهو التأويل الذي أنكره السلف والأئمة)[٣].

إن التأويل بمعنى صرف للفظ عن مفهومه، فهذا لم يكن هو المراد بلفظ التأويل في كلام السلف، اللهم إلا أنه إذا علم أن المتكلم أراد المعنى الذي يقال إنه خلاف الظاهر جعلوه من التأويل الذي هو التفسير، لكونه تفسيرا للكلام، وبيانا لمراد المتكلم به، أو جعلوه من النوع الآخر الذي هو الحقيقة الثابتة في نفس الأمر استأثر الله بعلمها، لكونه مندرجا في ذلك، لا لكونه مخالفا للظاهر[٤].

منهج الصحابة في تفسير آيات الصفات

يقول ابن تيمية: (إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما ورد من الحديث وقد وقفت ذلك إلى ما شاء الله -تعالى- من الكتب الكبار والصغار أكثر

---

(١) البغوي، مختصر تفسير البغوي، المجلد الأول، ص ١٠٨.

(٢) الرازي، فخر الدين، أساس التقديس، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر ١٤٠٦هـ ص ٢٣٥.

(٣) ابن تيمي، مجموع الفتاوى، جـ١٦، ص ٤٠٨.

(٤) ابن يتمية، الصفدية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم القاهرة، ١٤٠٦هـ.

من مائة تفسير، فلم أجد على ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أن تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المعروف)[1].

حموية الكبرى

في رسالة الحموية الكبرى تناول شيخ الإسلام آيات الصفات والأحاديث الواردة فيها وكان منهجه الكتاب والسنة وقول الصحابة وأئمة الهدى من بعدهم، وبين من خلال نصوص القرآن والسنة ،أقوال الصحابة والتابعين أن الله -سبحانه وتعالى-، هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو عال على كل شيء، وأنه فوق العرش، ،وأنه فوق السماء مثل قوله -تعالى- فقي سورة فاطر: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقوله -تعالى-: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤] وقوله -تعالى-: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]. قوله -تعالى-: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]. وفي الحديث نجد حديث الرقية: «ربنا الذي في السماء، وتقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا (ذنوبنا) وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع» قال ﷺ: «إذا اشتكى أحد منكم، أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الذي في السماء» [رواه أبو داود].

وقوله في الحديث الصحيح للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «اعتقها فإنها مؤمنة». وفي حديث الأوعال: «والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه» [رواه أحمد وأبو داود].

وفي الحديث الصحيح: «إن الله- لما خلق الخلق كتب في كتاب فهو موضوع

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ٦، ص ٣٩٤.

عنده فوق العرش (إن رحمتي سبقت غضبي)».

وفي الصحيح عن جبر بن عبد الله: (أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات جعل يقول ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلى السماء، وينكثها إليهم، ويقول: اللهم اشهد)[1].

وهناك قول الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة الذي أنشده للنبي ﷺ، وأقره عليه: شهدت بأن وعد الله حق، وأن النار مثوى الكافرين، وأن العرش فوق الماء طاف، وفوق العرش رب العالمين.

والحق أنه كما قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله، لا يتجاوز القرآن والحديث).

ويذكر الإمام ابن تيمية في كتابه (بيان موافقة صريح المعقول صحيح المنقول): (أن نفاة الصفات لا مسند لهم، لا نصا ولا ظاهرا، ولم ينقل ذلك قط عن صحابة رسول الله ﷺ، بل المنقول المستفيض عنهم يوافق قول أهل الإثبات، ولكن أهل الكلام والنظر من أهل الملة تنازعوا في هل هذا الأصل لما حدث في أهل الملة مذهب الجهمية نفاة الصفات، وذلك بعد المائة الأولى في أواخر عصر التابعين، ولم يكن قبل هذا يعرف من يقول بنفي الصفات، ولا بنفي الأمور الاختيارية القائمة بذاته تعالى)[2]. اعتقاد سلف الأمة نفي تمثيل وتشبيه الخالق -سبحانه وتعالى- بالمخلوق.

أهل السنة يثبتون ما أثبته الله -تعالى- لنفسه أو أثبته له نبيه محمد ﷺ إثباتا يناسب جلاله -سبحانه وتعالى- وقدرته وعظمته، وينفون ما نفاه عن نفسه، أو

---

(١) وهذا الحديث يبين لنا أنه يجوز الإشارة الحسية إليه -سبحانه وتعالى.

(٢) ابن تيمية، صريح المعقول، على هامش كتاب منهاج السنة النبوية، ط المطبعة الأميرية بمصر ١٣٢١هـ جـ ٤، ص ١٨.

نفاه عنه نبيه محمد ﷺ، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولم تره العيون فتحده كيف هو كينونيته)[١].

قال الإمام الصابون: (أصحاب الحديث: يعرفون ربهم -عز وجل- بصفاته التي نطلق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها ورسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلت العدول الثقات عنه، ويثبتون له -جل جلاله- ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه فيقولون إن خلق آدم بيديه كما نص سبحانه عليه في قوله: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]. ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين تحريف المعتزلة والجهمية، ولا يكيفونها بكيف أو يشبونها بأيدي المخلوقين تشبيها المشبهة، وقد أعاذ الله -تعالى- أهل السنة من التحري والتشبيه والتكييف[٢].

وقد أوضح شيخ الإسلام مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات حين قال: (أهل السنة والجماعة في الإسلام، فهم وسط في باب صفات الله -عز وجل- بين أهل الجحد والتعطيل، وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل)[٣].

مسألة اتهام شيخ الإسلام بأنه مجسم ومشبه

اتهم الرحالة ابن بطوطة في رحلته إلى دمشق شيخ الإسلام بالتجسيم فقال:

---

(١) الحميدي عبد الله، أصول السنة، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، ١٣٨٣هـ ص ٧٤.

(٢) الصابوني إسماعيل،عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٥هـ ص ١٦٢.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، جـ١، ص ٧٢.

(حضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أنه قال: (إن الله ينزل كنزولي هذا) ونزل درجة من درجة المنبر)[١].

والحقيقة أن هذه فرية عظمى على الرجل الذي قال في شرح حديث النزول بالنص: (فإذا قيل (أي المخالف): سمعه ليس كسمعنا وبصره ليس كبصرنا وإرادته ليست كإرادتنا، وكذلك علمه وقدرته، قيل له (أي قيل للمخالف) : وكذلك رضاه ليس كرضانا، وغضبه ليس كغضبنا، وفرحه ليس كفرحنا، ونزوله واستواؤه ليس كنزولنا واستوائنا)[٢].

ويقول: (وهم متفقون على أن الله ليس كمثله شيء، وأنه لا يعلم كيف ينزل، ولا تمثل صفاته خلقه)[٣].

ثم إن هذه الرواية مدسوسة على ابن تيمية لأنه كان محبوسا في الفترة التي كان فيها ابن بطوطة بدمشق، ومن ذلك يتضح لنا أن هذه الرواية مختلفة تماما.

ومما يبرئ ابن تيمية من قوله بالتجسيم أنه قال في تفسيره لسورة الإخلاص: (فالرب -سبحانه وتعالى- إذا وصفه رسوله ﷺ بأنه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، وأنه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج، وأنه كلم موسى في الوادي الأيمن... لم يلزم من ذلك أن هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من هذه الأعيان المشهودة حتى يقال إن ذلك يستلزم ذلك؛ فكيف برب العالمين، وكذلك نزول الملائكة، لهم صعود ونزول من هذا الجنس ، فلا يجوز نفي ما أثبته الله ورسوله من الأسماء والصفات ولا يجوز

---

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار (رحلة ابن بطوطة) شرح طلال حرب، ط بيروت، ص ١١٣.

(٢) ابن تيمية، شرح حديث النزول، تحقيق: محمد الخميس، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ، ص ١١٤.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤، ص ٤٢٣.

تمثيل ذلك بصفات المخلوقات)[١].

ولقد حاول أيضا بعض المعطلة من المعتزلة إلصاق تهمة التشبيه إلى الإمام أحمد وأصحاب الحديث وهذا طعن لا أساس له من الصحة، ومن العجيب أن الإمام فخر الدين الرازي وهو أشعري برأ أصحاب الحديث من هذه التهمة حيث يقول في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين): (إن جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية، ويحيى بن ميعن، وهذا خطأ، فإنهم منزهون في اعتقادهم عن التشبيه والتعطيل وكانوا يجزمون بأن الله -تعالى- لا شبيه له وليس كمثله شيء)[٢].

ويشير ابن تيمية إلى أن سلف الأمة ولا أحدا من الصحابة والتابعين الأطهار لم يقل أحد منهم: (إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش ولا أنه في كل مكان، ولا أنه جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا يتجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها فلئن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النافون من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصا، وإما ظاهرا كيف يجوز على الله ثم على رسوله ﷺ ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبرحون به قط ولا يدلون عليه نصا ولا ظاهرا حتى يجيء فروخ اليهود والفلاسفة يبنون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها)[٣].

---

(١) ابن يتيمة، تفسير سورة الإخلاص، ط مكتبة المنار الإسلامية الكويت، ط٢، ١٩٧٥، ص ٦٩، ٧٠.

(٢) الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٨٥.

(٣) ابن تيمية ، العقيدة الحموية الكبرى، ص ٤١٢، ٤٢٠.

الاستواء على العرش

قال شيخ الإسلام: قال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاه: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها: (وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول (أي معقول المعنى) والكيف منه مجهول وأنه -عز وجل- بائن على خلقه، والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة، و لا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق، وأن الله -عز وجل- سميع بصير عليم خبير، ويتكلم ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء، فيقول: هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه، حتى يطلع الفجر، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف، ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأوله فهو متبدع ضال)[1].

والله - سبحانه وتعالى- لا يماثل شيئا ولا يماثله شيء، وإذا حدث أن وجدنا هناك من الأسماء ما يطلق على صفات الله -تعالى-كما يطلق على صفات خلقه، فإن ذلك ليس إلا مجرد محض اشتراك في الاسم وهذا الاشتراك ففي الاسم لا يقتضي على الإطلاق مماثلة صفات الله -تعالى- لصفات خلقه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (لقد سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم، مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص؟ ولم يلزم من اتفاق الاسمية، وتماثل مسماهما واتحاده عند

(١) السابق: جـ١، ص٤٥١.

الإطلاق والتجربة عن الإضافة والتخصيص اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلا عن أن يتخذ مسماهما عند الإضافة والتخصيص، فقد سمى الله نفسه حيا فقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وسمى بعض عباده حيا، فقال سبحانه: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [الروم: ١٩]. وليس هذا الحي، مثل هذا الحي، لأن قوله الحي اسم لله مختص به، قوله: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾[الروم: ١٩].اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق)[1].

صفة العلو

إننا نجد في القرآن الكريم عددا من الآيات يصف الله -تعالى- بها نفسه بالعلو والاستواء على العرش والفوقية، فالله -سبحانه وتعالى- هو العلي الأعلى، وهو فوق العرش، وفوق السماء وهو على كل شيء قدير. ونجد في حديث الخوارج قول رسول الله ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» ويثبت ذلك حديث معراج الرسول ﷺ إلى ربه -سبحانه وتعالى-. والحقيقة أنه ليس هناك في العقل ولا في النقل ما ينافي وما يناقض وصفه -تعالى- بالعلو والفوقية.

فما ثبت لله تعالى من العلو فهو يناسب جلاله -تعالى- وكمال ذاته المنزهة عن الحوادث ومماثلتها. فالعلو صفة كمال أما نفي العلو فإنه يؤدي إلى القول بالحلول والاتحاد.

---

(١) ابن تيمية، الرسالة التدمرية، مجموع الفتاوى، جـ٣، ص١٠، ١١.

مسألة نزول الرب تعالى

لقد صحت الآثار الشريفة أن الرب -سبحانه وتعالى- ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا؛ ولهذا يجب على المؤمن الإيمان بذلك واعتقاده والتسليم به من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف، بل إن أهل السنة والجماعة يمرون الخبر الصحيح بهذا الشأن بلا تأويل ويسلمون به تسليما فقد روي الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**».

صفة اليد لله -تعالى-

يعتقد أهل السنة والجماعة أن لله -تعالى- يدين بلا كيف يقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم ومالهم**» [أخرجه مسلم].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله لا طيبا فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله[1] حتى تكون مثل الجبل**» [أخرجه البخاري].

والحقيقة أن أهل السنة متفقون على أن لله -سبحانه وتعالى- يدين، كما ذكر ذلك في كتابه العزيز، وكما جاء في سنة نبيه ﷺ، ولنا أن نسلم بما وصف الله به نفسه

(١) فصيلة: الفصيل ولد الناقة أو البقرة عبد فطامه وفصيله عن أمه.

بلا كيف.

يقول الإمام ابن القيم الجوزية -رحمه الله-: (ورودا لفظ اليد في الكتاب والسنة كلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضوع وردا متنوعا متصرفا فيه مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقية من الإمساك، والطي، والقبض، والبسط، والنضح باليد، والخلق باليدين، والمباشرة بها، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده)[1].

أصابع الرحمن

إن نصوص السنة المطهرة تثبت صفة الأصابع للرحمن لكن ليس كأصابعنا لأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]. فعن ابن مسعود عن النبي ﷺ: أن حبرا من اليهود قام إليه فقال: أبلغك أن الله يحمل يوم القيامة السماوات على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والخلائق على أصبع، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجبا لما قال الحبر وتصديقا له، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] [البخاري].

وعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه» [مسلم]. فيجب الإيمان والتصديق بكل ما ورد صحيحا عن رسول الله ﷺ، وهذا هو معتقد السلف الصالح وأهل السنة والجماعة.

---

(١) ابن القيم: مختصر الصواعق المرسلة عل الجهمية والمعطلة، اختصار محمد الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٣٤.

صفة القبضة للرحمن

يقول الله -تعالى-: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧]. فالقبض من صفات الله -تعالى- الفعلية والقبضة من صفاته الذاتية، والله -سبحانه وتعالى-: يقبض الأرض بإحدى يديه ويطوي السماء بيمينه، وكلتا يديه يمين.

وقال الإمام ابن القيم الجوزية: (إن اقتران لفظ الطي والقبض والإمساك باليد يصير المجموع حقيقة هذا الفعل، وهذا في الصفة)[1].

صفة البسط

كذلك جاء وصف اليد بالبسط، ففي حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله -عز وجل- يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس**» [مسلم].

صفة القدم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قال: «**اختصمت الجنة والنار إلى ربهما، فقالت الجنة: أي رب: ما لها يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم، وقالت النار: أي رب؟ إنما يدخلها الجبارون والمتكبرون، قال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء وأنت عذابي أصيب به من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها... فأما الجنة، فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا، وإنه ينشئ له نشئا، وأما النار فيلقون فيها، وتقول هل من مزيد؟ ويلقون فيها؟ وتقل هل من مزيد؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه هناك تمتلئ ويدنو بعضها إلى بعض وتقول: قط قط**» [البخاري].

وأهل السنة والجماعة يسلمون بأحاديث (يضع قدمه) ويمروها كما جاءت

---

(١) المرجع السابق، جـ ٢، ص ٣٣٢.

دون تأويل أو تشبيه.

إثبات صفة الوجه لله -تعالى- يقول عز من قائل: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ويقول -تعالى-: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨].

وفي السنة المطهرة: «جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى وجه ربهم في جنة عدن إلا رداء الكبرياء على وجهه» [مسلم].

قال الإمام ابن خزيمة في كتابه التوحيد: (نحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق و لشام ومصر مذهبنا: أنا نثبت الله ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين -عز ربنا- عن أن يشبه المخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين)[1].

إثبات العين الله -تعالى-:

يقول -عز من قائل-: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤]، ويقول: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه: ٣٩]، وقال: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود: ٣٧]. ويقول: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨]. وأهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله لنفسه من العين من غير تكييف ولا تشبيه لأنه سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

صفة السمع والبصر

يؤمن أهل السنة والجماعة بان الله -تعالى- كما وصف نفسه سميع بصير، أي أنه -جل وعلا- متصف بالسمع والبصر ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء:

(١) ابن خزيمة، التوحيد في صفات رب العالمين، جـ١، ص ٣٦.

١٣٤]. وقال -تعالى- أيضا: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

وحين جاءت المرأة المجادلة إلى رسول الله ﷺ نزل قول الله -تعالى-: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ [المجادلة: ١].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «**اجتمع عند البيت قرشيان أو ثقفيان وقريشي كثير شحم بطونهما قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول: فقال الآخر: يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا**» سمع فأنزل الله -تعالى-: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ ﴾ [فصلت: ٢٢]. [أخرجه البخاري].

قال الإمام ابن خزيمة (من كان معبوده غير سميع بصير، فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق الباري، الذي هو سميع بصير)[1].

إثبات صفة النفس لله -تعالى

جاء في الذكر الحكيم إثبات صفة النفس لله -تعالى- فالله -عز وجل- يقول في محكم التنزيل: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال -تعالى-: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ويقول أيضا: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه: ٤١].

يقول العلامة ابن خزيمة: (إن الله -جل وتعالى- أثبت في أي من كتابه أن له نفسا وكذلك قد تبين على لسان نبيه ﷺ، أن له نفسا كما أثبت النفس في كتابه، وكفرت الجهمية بهذه الآي، وهذه السنة، وزعم بعض جهلتهم أن الله -تعالى- إنما أضاف النفس إليه على معنى إضافة الخلق إليه، وزعم أن نفسه غيره، كما أن خلقه

(١) ابن خزيمة، السابق، جـ١، ص١٠٦.

غيره، وهذا لا يتوهمه ذو لب وعلم فضلا عن أن يتكلم به، قد أعلم الله في محكم تنزيله أن كتب على نفسه الرحمة، أفيتوهم مسلم أن الله -تعالى- كتب على غيره الرحمة؟ وحذر العباد نفسه، أفيحل لمسلم أن يقول إن الله حذر العباد غيره؟ أو يتأول قوله لكليمه موسى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه: ٤١] فيقول: معناه: واصطنعتك لغيري من الخلوق)[1].

إن الله خلق آدم على صورته

أهل السنة والجماعة يقولون بإمرار الحديث الصحيح كما جاء والخاص بأن الله -عز وجل- خلق آدم على صورته، والذي جاء بطرق متعددة.

يقول الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: (والذي عندي -والله أعلم- أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الألف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة في هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منها بكيف)[2].

وقد جاءت أحاديث عديدة في ذلك منها: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ، أنه قال: «**إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته**» [أخرجه مسلم].

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن**» [أخرجه الدارقطني في الصفات].

ورواية عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- ترد على أي تأويل يقول فيه المتأولون أن الضمير يعود إلى آدم -عليه السلام.

---

(١) المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٠.

(٢) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، الكليات الأزهرية ١٣٨٦هـ ص ٢٢١.

مسألة رؤية الله -تعالى- لخلقه

إن أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله -تعالى- لنفسه من صفات ومنها الرؤية، لكن ليس رؤية الله -تعالى- لخلقه كرؤية مخلوقاته للأشياء -تعالى- الله عن ذلك علوا عظيما تعالى عن أن يشبه صفة شيء من خلقه صفته، أو فعل أحدج من خلقه فعله، فالله -تعالى- يرى ما تحت الثرى وما تحت الأرض السابعة السفلى وما في السماوات العلى لا يغيب عن بصره شيء من ذلك ولا يخفى، يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى ما في السماوات، وبنو آدم يرون ما قرب من أبصارهم ولا تدرك أبصارهم ما يبعد منهم، ولا يدرك بصر أحد من الآدميين ما يكون بينه وبينه حجاب؟ وقد تتفق الأسامي وتختلف المعاني[1].

إثبات رؤية الله لخلقه في القرآن الكريم

وقال -تعالى-: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨]. وقال -عز من قائل-: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود: ٣٧]. وقال: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

رؤية الله -تعالى- يوم القيامة في السنة المطهرة

عن جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال:«إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا، (أي البدر)، لا تضامون في رؤيته» [البخاري].

وعن صهيب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا لم تروه قال: فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة، قال: فيكشف الحجاب -عز وجل- فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم مما هم فيه»، ثم قرأ:

(١) الأصبهاني، الحجة، جـ١، ص ١٩٦، ١٩٧.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، [أخرجه مسلم].

رؤية الله -تعالى- لمخلوقاته في السنة المطهرة

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله أليم يوم القيامة ولا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب إليهم، رجل عنده فضل ماء منعه من ابن سبيل، ورجل حلف على سلعة بعد العصر فصدقه كاذبا، واشتراها، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه وفي، وإن لم يعطه لم يفي له**» [أخرجه البخاري].

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «**إن الذي يجر ثوبه من الخيلاء، لا ينظر الله إليه يوم القيامة**» [أخرجه البخاري].

وفي حديث جبريل حين سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان وعن الإحسان فقال ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» [أخرجه البخاري].

توحيد الله في ذاته وأفعاله

يرى الإمام ابن تيمية أن توحيد الله في ذاته أمر لا يختلف عليه أهل الإسلام جميعا، وكذا فإن المسلمين يقرون لله بالوحدانية في أفعاله -تعالى.

وتقتضي الوحدانية في العبادة أن لا يعبد إلا الله وحده، وأن نعبده بما شرعه -سبحانه وتعالى- على لسان رسله وأن نكون مخلصين في عبادتنا لله -تعالى.

رابعا: ابن تيمية وقضية الإيمان

يرى ابن تيمية أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح والتصديق ليس بالقلب واللسان معا، وإنما بالقلب واللسان والجوارح.

العمل داخل في الإيمان

قال الإمام ابن بطة العكبري في الإبانة: (إن الله -عز وجل- لم يثن على المؤمنين، ولم يصعب ما أعد لهم من النعيم المقيم، والنجاة من العذاب الأليم، ولم يخبرهم برضاه عنهم إلا بالعمل الصالح، وقرن القول بالعمل والنية بالإخلاص، حتى صار اسم لإيمان مشتملا على المعاني الثلاثة، لا ينفصل بعضها من بعض، ولا ينفع بعضها دون بعض ، حتى صار الإيمان قولا باللسان، وعملا بالجوارح، ومعرفة بالقلب)[1].

وهذا يبين لنا أهمية العمل لكمال الإيمان يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧]. ويقول -عز من قائل-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٢-٤]. وهذه الآية تبين لنا بوضوح أن الأعمال الصالحات من ذكر الله -تعالى-، واتكال عليه وإقامة للصلاة، وإنفاق مما رزق حلال كلها من الإيمان فالإيمان عند أهل السنة قول، وعمل، وكل الطاعات كالصلاة وغيره داخلة في شعب الإيمان.

يقول العلامة الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان في تفسير قول الله -تعالى-:

---

(١) ابن بطة العكري، الإبانة، جـ٢، ص ٧٧٩.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. يقول: (أجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس ، فثبت أن الصلاة إيمان، وإذا ثبت ذلك فكل طاعة إيمان، إذ لم أعلم فارقا فرق في هذه التسمية بين الصلاة وسائر الطاعات).

ويقول رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» [أخرجه البخاري].

ويعلق الإمام ابن بطة على هذا الحديث قائلا: (هذه شرائع الإيمان وشعبه، وأخلاق المؤمنين الذين من كملت فيهم كانوا على حقائق الإيمان، وبصائر الهدى، وإمارات التقوى فكلما قوي إيمان العبد، وازداد بصيرة في دينه، تزيدت هذه الأخلاق ومشاكلها فيه ولاحت أعلامها، وأماراتها في قوله وفعله)[1].

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في هذا الحديث: (هذا صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب واتصاف العبد بها أو عدمه، ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتا كثيرا، فمن زعم أن الإيمان لا يزيد، ولا ينقص، فقد خالف الحس، مع مخالفة لنصوص الشرع)[2].

والإيمان عند الأشاعرة تصديق بالله -تعالى- قال الإمام أبو الحسن الأشعري: (إن قال قائل : الإيمان عندكم بالله -تعالى-؛ قيل له: هو التصديق بالله وعلى ذلك إجماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن، وقال -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧]، أي بمصدق لنا فوجب أن يكون الإيمان هو ما كان عند

---

(١) ابن بطة العكبري، الإبانة، حـ٢، ص ٦٥٣.

(٢) السعدي بن عبد الرحمن بن ناصر، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ١٤٠٦هـ ص ١٤.

أهل اللغة إيمانا وهو التصديق)[١].

زيادة الإيمان ونقصه

إن الإيمان يزيد وينقص، والأدلة كثيرة في كتاب الله -تعالى- وسنة رسول الله ﷺ، قال -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]. وقال أيضا: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ [مريم: ٧٦]. وقال: ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٢].

ومن الأدلة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قول رسول الله ﷺ: «مؤمن أعطي لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه» [أخرجه الترمذي].

وهذا دليل واضح على أن الإيمان ينقص ويكمل، وأن العمل من الإيمان.

قال ابن منده في كتابه (الإيمان): (والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال والمراقبة لله في السر والعلانية، وترك اعتقاد المعاصي، فمنها قيل: الإيمان يزيد وينقص)[٢].

وابن تيمية يرى أن الإيمان يزيد وينقص،، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

الاستثناء في الإيمان جائز

الحقيقة... إن الاستثناء في الإيمان جائز وليس في الاستثناء شك في الإيمان وإنما الذي دفع أهل السنة والجماعة إلى جواز الاستثناء، أنهم لا يدرون هل قبلت أعمالهم

---

(١) الأشعري، أبو الحسن، اللمع، ص ٧٥.

(٢) ابن منده، الإيمان، تحقيق: علي بن أحسن الفقيهي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ جـ١، ص ٣٠٠.

آم لم تقبل.

يقول -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]. كما أن في الاستثناء معنى من معاني التواضع، وعدم تزكية النفس، قال رسول الله ﷺ، وهو خير الأمة وأفضل خلق الله -تعالى-: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله» [أخرجه مسلم].

قال ابن تيمية: (إذا قال الرجل: أنا مؤمن بهذا الاعتبار، فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين لفعل جميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه وشهادته لنفسه بما لا يعلم)[1].

ولقد استثنى الله -سبحانه وتعالى- في الأمور المتيقنة يقول -تعالى-:﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧].

(إذن فإن الاستثناء فيما دونها أولى، ولهذا قال الإمام أحمد لما قيل له: يستثنى في الإيمان؟ قال : نعم. أقول أنا مؤمن إن شاء الله، استثنى على اليقين لا على الشك، ثم قال: قال الله: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]، فقد أخبر الله -تعالى-أنهم داخلون المسجد الحرام [2] وعلى هذا فإن الاستثناء ليس بشك لأنه لا ينفي التحقيق.

وأهل السنة والجماعة يجوزون الاستثناء في الإيمان وهو أن يقول المرء: أنا مؤمن إن شاء الله.

أما المرجئة والجهمية والماتريدية فلا يجوزون ذلك. والحقيقة أن مذهب السلف

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى، جـ٧، ص ٤٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٥.

من أصحاب احديث هو جواز الاستثناء في الإيمان ليس شكا في الإيمان وإنما كما قال الإمام أحمد: إن الإيمان قول وعمل، والعمل الفعل فقد جئنا بالقول ونخشى أن نكون قد فرطنا في العمل، فيعجبني أن نستثني في الإيمان، بقول : أنا مؤمن إن شاء الله)[١].

ابن تيمية ومسألة التكفير

يقول ابن تيمية: (ليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين، وأن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين: لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة)[٢].

وابن تيمية ليس كما أشاع عنه بعض أعدائه من أنه سريع التكفير لمخالفيه بل على العكس من ذلك فإنه يقول: (مذهب أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أهل القبلة من الذنوب ولا بمجرد التأويل)[٣].

ويقول: (لا يحكم بالكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة)[٤].

يقول شيخ الإسلام: (كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك، وزني بأهلك، لأن الكذب والزنى حرام، لحق الله -تعالى-،

---

(١) الخلال، أبو بكر، السنة، تحيق: د/ عطية الزهراني دار الراية، الرياض، ١٤١٠هـ جـ٣، ص ٦٠٠.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ ١٢، ص ٤٦٦.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ ٢٧/ ٤٧٨.

(٤) مرجع سابق، جـ ١١، ص٤٦.

وكذلك التكفير حق الله -تعالى- فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله)[١].

عدم جواز تكفير علماء المسلمين في اجتهاداتهم

ويرى ابن تيمية أنه لا يجوز تكفير أحد من علماء المسلمين لمجرد خطئه في اجتهاده فيقول: (إن علماء المسلمين المتكلمين في الدنيا باجتهادهم لا يجوز تكفير أحدهم بمجرد خطأ أخطأه في كلامه، فإن تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وإنما أصل هذا من الخوارج [والروافض] الذين يكفرون أئمة المسلمين، لما يعتقدون أنهم أخطأوا فيه من الدين، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ أخطأه، يكفر ولا يفسق، بل لولا يأثم، فإن الله -تعالى- قال في دعاء المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «إن الله قال: قد فعلت»[٢].

ويقول أيضا شيخ الإسلام: (إن دفع التكفير عن علماء المسلمين وإن أخطأوا هو أحق الأغراض الشرعية)[٣].

يقول كذلك: (من عيوب أهل البدع، تكفير بعضهم بعضا، ومن مماذخ أهل العمل أنهم يخطئون ولا يكفرون)[٤].

أهل السنة والجماعة لا يكفرون مرتكب الكبائر

قال الإمام الصابوني: (يعتقد أهل النسة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة

---

(١) ابن تيمية الرد على البكري، ص ٢٥٧.
(٢) ابن تيمية، الفتاوى، م ٣٥، ص ١٠٠.
(٣) مرجع سابق، ص ١٠٣.
(٤) ابن تيمية منهاج السنة، جـ ٣، ص ٦٣.

صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بهم، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد، الإخلاص، فإن أمره إلى الله -عز وجل- إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة وإن شاء عاقبه وعذبه بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار)[1].

وهذا الرأي الصواب يخالف رأي الخوراج الذين يقولون بأن مرتكب الكبيرة ما لم يتب في الدنيا قبل أن يموت فهو كافر مخلد في النار.

ونصوص القرآن الكريم تبين لنا أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بارتكابه كبيرته فقد قال -عز من قائل-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤] . فقد سماهم -سبحانه وتعالى-: فساقا، ولم يسمهم كفارا.

ومع اقتتال طائفتين من المؤمنين سماهم -تعالى- مؤمنين مع اقتتالهم فقال -عز من قائل-: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩].

المؤمن لا يكفر بالمعصية

قال أبو القاسم الأصبهاني: (إن المسلمين لا يضرهم الذنوب إذا ماتوا عن توبة عنها من غير إصرار ، وإن ماتوا من غير توبة فأمرهم إلى الله -عز وجل- إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم)[2].

إن الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة، فالإيمان القليل قد يخرج به صاحبه من

---

(١) الصابون، أبو إسماعيل، عقيدة السلف أصحاب الحديث، تحقيق: د/ ناصر الجديع، نشر دار العاصمة بالرياض، ص ١٧٦.

(٢) الأصبهاني الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق: د/ محمد بن ربيع المداخلي، ومحمد أبو رحيم، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

النار إن دخلها وذلك لحديث رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا الله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» [أخرجه البخاري].

ويقول رسول الله ﷺ: «**إن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» [أخرجه البخاري].

توبة صاحب البدعة

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**» [أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة].

وهذا لا يعني أن الله -تعالى- منع التوبة عن صاحب البدعة، وإنما لأن صاحب البدعة عادة ما يرى أن بدعته حسنة فلا يفكر في التوبة، أما إن أناب إلى الله وتاب، تاب الله عليه وقبل توبته.

يقول الإمام ابن تيمية : (قال طائفة من السلف منهم الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها، وهذا معنى ما روي عن طائفة أنهم قالوا: إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة، بمعنى أنه لا يتوب منها، لأنه يحسب أنه على هدى، ولو تاب لتاب عليه، كما يتوب على الكافر، ومن قال: إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقا فقد غلط غلطا منكرا ومن قال: ما أذن الله لصاحب بدعة في توبة، فمعناه مادام مبتدعا يراها حسنة لا يتوب منها، فأما إذا رآه الله أنها قبيحة فإنه يتوب منها)[1].

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ١١، ص ٦٨٤.

شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر

يؤمن أهل السنة والجماعة بشفاعة رسول الله ﷺ، في أهل الكبائر، وكذا شفاعة غيره بعد إذن الله -تعالى-؛ لقوله -تعالى-: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وكذا يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وفي السنة المطهرة عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» [أخرجه أحمد].